الفصل الأول
ذكر جملة من فضائل القرآن وأهله

المبحث الأول
تعريف القرآن لغة وشرعًا

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّ هذا الباب واسع كبير، ألَّفَ فيه العلماء كتبًا كثيرة نذكر من ذلك نكتًا تدل على فضله، وما أعد الله لأهله إذا أخلصوا الطلب لوجهه، وعملوا به، فأول ذلك أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين، غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شيء وصفة من ليس له شبيه ولا نِدّ»[(١)].

والْقُرْآنُ فِي اللُّغَةِ: مَأْخُوذٌ مِنْ قَرَأَ بِمَعْنَى ضَمَّ وَجَمَعَ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ قَرَأَ قِرَاءَة وقُرْآنًا، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِضَمِّهِ السُّوَرَ وَجَمْعِهِ لَهَا، أَوْ لِجَمْعِهِ الْأَحْكَامَ، وَالقَصَصَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَقَرَأْتُ الشَّيْءَ قُرْآنًا: جَمَعْتُهُ وَضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَا قَرَأَتِ النَّاقَةُ سَلًى قَطُّ، وَمَا قَرَأَتْ جَنِينًا، أَيْ لَمْ يُضَمَّ رَحِمُهَا عَلَى وَلَدٍ، وَقَرَأْتُ الْكِتَابَ قُرْآنًا وَمِنْهُ سُمِّيَ الْقُرْآنُ[(٢)].

والْقُرْآنُ شَرْعًا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسائر أئمة المسلمين - كالأئمة الأربعة وغيرهم - ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة، أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فهو المتكلم بالقرآن، والتوراة، والإنجيل، وغير ذلك من كلامه، ليس مخلوقا منفصلا عنه، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، فكلامه قائم بذاته، فالله لم يزل متكلما إذا شاء كيف شاء»[(٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١ / ١٣).

(٢) لسان العرب (١١/ ٧٨) بتصرف.

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٢ / ٢٥).

المبحث الثاني

ذكر جملة من الآيات الواردة في ذلك

قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١-٢].

«وقوله تعالى: ﴿ هُدٗى ﴾ قال الشعبي: هدى من الضلالة.

وقوله تعالى: ﴿ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ أي: نور للمتقين.

قاله ابن مسعود وجماعة من أصحاب النبي ﷺ. فالقرآن هدى للمتقين وشفاء لما في صدور المؤمنين، ووقر في آذان المكذبين، وعمًى لأبصار الجاحدين وحجة على الكافرين، فالمؤمن به مهتد والكافر به محجوج»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ [البقرة:١٨٥].

«وقوله تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ أي: ابتدأ فيه إنزاله، وكان ذلك في ليلة القدر[(٢)]. وقال الرازي: لأن مبادئ الملل والدول هي التي يؤرخ بها، لكونها أشرف الأوقات ولأنها أيضًا أوقات مضبوطة معلومة»[(٣)].

«وقوله تعالى: ﴿ هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ نصب على الحال. ﴿ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ ﴾ عطف على الحال قبله. فهي أيضًا حال. والظرف صفة. أي: أنزله حال كونه هداية للناس وآيات واضحة مرشدة إلى الحق. فارقة بينه وبين الباطل»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [المائدة:٤٨].

---

(١) تفسير الطبري (١ / ١٦٢).
(٢) تفسير القاسمي (٢ / ٦٢).
(٣) تفسير الرازي (٥ / ٩٣).
(٤) تفسير القاسمي (٢ / ٦٢).

قال الإمام أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا خطابٌ من الله تعالى ذكره لنبيه محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول تعالى ذكره: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾، يا محمد ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾، وهو القرآن الذي أنزله عليه ويعني بقوله: ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾، بالصدق ولا كذب فيه، ولا شك أنه من عند الله ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾، يقول: أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التى أنزلها إلى أنبيائه.

﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾، يقول: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدّقًا للكتب قبله، وشهيدًا عليها أنها حق من عند الله، أمينًا عليها، حافظا لها.

وأصل «الهيمنة»، الحفظ والارتقاب. يقال، إذا رَقَب الرجل الشيء وحفظه وشَهِده: قد هيمن فلان عليه، فهو يُهَيمن هيمنة، وهو عليه مهيمن.

فالمهيمن بمعنى: المؤتمن، والشاهد، والمصدق، والحافظ

فالقرآن شاهد ومصدق وحافظ وأمين على الكتب قبله»(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۗ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [الأنعام:٩٢].

«وقوله سبحانه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾: ﴿ وَهَٰذَا ﴾ إشارة إلى القرآن، وقوله: ﴿ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾، يعني: التوراةَ والإنجيل لأن ما تقدّم، فهو بين يدي ما تأخّر، و﴿ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ ﴾: مكّة، ثم ابتدأ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بمَدْحِ قومٍ وصفهم، وأخبر عنهم أنهم يؤمنون بالآخرةِ والبَعْثِ والنشورِ، ويؤمنون بالقُرآن، ويصدِّقون بحقيقتِهِ، ثم قوى عَزَّوَجَلَّ مدحهم بأنهم يحافظون على صَلاَتهم التي هي قاعدةُ العباداتِ، وأمُّ الطاعاتِ»(٢).

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (١٠ / ٣٧٨).

(٢) تفسير الثعالبي (٢ / ٤٩٢) للإمام عبد الرحمن الثعالبي.

وقوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ تِلۡكَ﴾ [يوسف:١-٣].

«وقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أي: هذه آيات الكتاب: وهو القرآن المبين، أي: الواضح الجلي الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها. وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها، وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان، فكمل من كل الوجوه»[(١)].

«وقوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ﴾ ابتداء وخبر. ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ بمعنى المصدر، والتقدير: قصصنا أحسن القصص. وأصل القصص تتبع الشيء.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص:١١]. أي: تتبعي أثره، فالقاص يتبع الآثار فيخبر بها، والحسن يعود إلى القصص لا إلى القصة، يقال: فلان حسن الاقتصاص للحديث أي جيد السياقة له»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

«قوله تعالى: ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ يعني القرآن. ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من أن يزاد فيه أو ينقص منه. قال قتادة وثابت البناني: حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلًا أو تنقص منه حقًا؛ فتولى سبحانه حفظه فلم يزل محفوظًا، فالله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه فلم يضع

(١) صحيح تفسير ابن كثير (٢ / ٤٤٣).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥ / ١١٠).

علينا ووكل حفظ الكتب السابقة إلى أهل الكتاب فضاعت، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

«وقوله تعالى: ﴿لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي: الطريقة التي هي أسدّ وأعدل وأصوب. فـ﴿لِلَّتِى﴾ نعت لموصوف محذوف، أي: الطريقة إلى نص أقوم، وقال الزجاج: للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمان برسله. وقاله الكلبي والفراء»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

«وقوله تعالى: ﴿شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله، وهو أيضًا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدًا وكفرًا، والآفة من الكافر لا من القرآن»[(٣)].

«وقد اختلف العلماء في كون القرآن شفاء على أمرين: أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل وإزالة الريب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم المعجزات والأمور الدالة على الله تعالى.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥ / ٣٦٩) بتصرف.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥ / ٥٦٤).
(٣) صحيح «تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٦٧) تحقيق الشيخ العدوي.

الثاني- شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقي والتعوذ ونحوه»[(١)].

قلت: والجمع بين القولين حسن، فهو شفاء للأمراض الظاهرة والباطنة.

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

«أي أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله، لما أطاقوا ذلك، ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا، فإن هذا أمر لا يستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عديل له»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الإسراء:٨٩].

«أي: بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة، ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ومع هذا ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ أي: جحودًا للحق وردا للصواب»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٥-١٠٦].

«قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ أي: ما أنزلنا القرآن إلا بالحق، وقد نزل وفيه الحق. قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ ﴾ أي: أنزلناه شيئًا بعد شيء لا جملة واحدة. ﴿ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ أي: على تطاول في المدة شيئًا بعد شيء على

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥ / ٦٤٥).

(٢) «صحيح تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٦٩).

(٣) «صحيح تفسير ابن كثير» (٢/ ٦٧٠).

ترسل وتمهل فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ. ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ أي: أنزلناه منجمًا مفرقًا لما في ذلك من المصلحة ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا ولم يطيقوا»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

«قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا﴾ يعني القرآن. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ رفع بالابتداء والجملة في موضع نصب لأنها نعت لكتاب، والمراد بالذكر هنا الشرف، أي: فيه شرفكم، مثل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. ثم نبههم بالاستفهام الذي معناه التوقيف، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. وقيل: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب، أفلا تعقلون هذه الأشياء التي ذكرناها؟؛ وقال مجاهد: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: حديثكم، وقيل مكارم أخلاقكم ومحاسن أعمالكم. وقال سهل بن عبد الله: العمل بما فيه حياتكم»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

هذا بيان لعظمته الكاملة، وتفرده بالوحدانية من كل وجه، وكثرة خيراته وإحسانه فقال: ﴿تَبَارَكَ﴾ أي: تعاظم وكملت أوصافه، وكثرت خيراته الذي من أعظم خيراته ونعمه أن نزل هذا القرآن الفارق بين الحلال والحرام، والهدى والضلال، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ الذي كمل مراتب العبودية وفاق جميع المرسلين، ﴿لِيَكُونَ﴾ ذلك الإنزال للفرقان على عبده ﴿لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ ينذرهم بأس الله ونقمه ويبين لهم مواقع رضا الله من سخطه، حتى إن من قبل نذارته وعمل بها كان من الناجين في الدنيا والآخرة الذين حصلت لهم السعادة الأبدية والملك السرمدي،

---

(١) «زبدة التفسير» [٢٩٣].

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٦ / ٢٤٨).

فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء؟ فتبارك الذي هذا من بعض إحسانه وبركاته»[(١)].

وقال تعالى: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ١ - ٣].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦].

«أي: تلقنه وتعلمه وتحفظه من عند ﴿ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ هو الله جل جلاله»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٧ - ٤٩].

«قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ أي: يا محمد، هذا ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ الكريم، المبين كل نبأ عظيم، الداعي إلى كل خلق فاضل، وأمر كامل، المصدق للكتب السابقة، المخبر به الأنبياء الأقدمون. ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ فعرفوه حق معرفته، ولم يداخلهم حسد وهوى.

﴿ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ ﴾ لأنهم تيقنوا صدقه، بما لديهم من الموافقات، وبما عندهم من البشارات، وبما تميزوا به من معرفة الحسن والقبيح، والصدق والكذب. ﴿ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ الموجودين من ﴿ يُؤۡمِنُ بِهِۦ ﴾ إيمانًا عن بصيرة، لا عن رغبته ولا رهبته. ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ الذين دأبهم الجحود للحق والعناد له. وهذا حصر لمن كفر به، أنه لا

---

(١) «تفسير السعدي» (ص: ٥٧٧).

(٢) «أيسر التفاسير» (٣/ ٣١٢) للشيخ أبي بكر الجزائري.

يكون من أحد قصده متابعة الحق، وإلا فكل من له قصد صحيح، فإنه لا بد أن يؤمن به، لما اشتمل عليه من البينات، لكل من له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومما يدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين، الذي عَرِفَ قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطًا، ولا يقرأ خطًا مكتوبًا، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التي لا تقبل الارتياب، أنه من عند الله العزيز الحميد، ولهذا قال: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ ﴾ أي: تقرأ ﴿ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا ﴾ لو كنت بهذه الحال ﴿ لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ فقالوا: تعلمه من الكتب السابقة، أو استنسخه منها، فأما وقد نزل على قلبك، كتابا جليلا تحديت به الفصحاء والبلغاء، الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة، لعلمهم ببلاغته وفصاحته، وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون مجاريًا له أو على منواله، ولهذا قال: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

أي: ﴿ بَلْ ﴾ هذا القرآن ﴿ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ لا خفيات، ﴿ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ وهم سادة الخلق، وعقلاؤهم، وأولو الألباب منهم، والكمل منهم.

فإذا كان آيات بينات في صدور أمثال هؤلاء، كانوا حجة على غيرهم، وإنكار غيرهم لا يضر، ولا يكون ذلك إلا ظلمًا، ولهذا قال: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ لأنه لا يجحدها إلا جاهل تكلم بغير علم، ولم يقتد بأهل العلم، وهو متمكن من معرفته على حقيقته، وإما متجاهل عرف أنه حق فعانده، وعرف صدقه فخالفه»[(١)].

(١) تفسير السعدي ص [٦٣٣].

وقال ابن كثير: «أي هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمرًا ونهيًا وخبرًا، يحفظه العلماء يسره الله عليهم حفظا وتلاوة وتفسيرًا»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة:١-٣].

«يخبر تعالى أن هذا الكتاب الكريم، أنه تنزيل من رب العالمين، الذي رباهم بنعمته.

ومن أعظم ما رباهم به، هذا الكتاب، الذي فيه كل ما يصلح أحوالهم، ويتمم أخلاقهم، وأنه لا ريب فيه، ولا شك، ولا امتراء، ومع ذلك قال المكذبون للرسول الظالمون في ذلك: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾.

محمد ﷺ واختلقه من عند نفسه، وهذا من أكبر الجراءة على إنكار كلام الله، ورمي محمد ﷺ، بأعظم الكذب، وقدرة الخلق على كلام مثل كلام الخالق. وكل واحد من هذه من الأمور العظائم، قال الله رادًا على من قال: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾.

﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ أنزله رحمة للعباد ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: في حالة ضرورة وفاقة لإرسال الرسول، وإنزال الكتاب، لعدم النذير، بل هم في جهلهم يعمهون، وفي ظلمة ضلالهم يترددون، فأنزلنا الكتاب عليك ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ من ضلالهم، فيعرفون الحق فيؤثرونه.

---

(١) صحيح تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٥).

وهذه الأشياء التي ذكرها الله كلها، مناقضة لتكذيبهم له: وإنها تقتضي منهم الإيمان والتصديق التام به، وهو كونه ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وأنه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ والحق مقبول على كل حال، وأنه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ بوجه من الوجوه، فليس فيه، ما يوجب الريبة، لا بخبر لا يطابق للواقع ولا بخفاء واشتباه معانيه، وأنهم في ضرورة وحاجة إلى الرسالة، وأن فيه الهداية لكل خير وإحسان»[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ۖ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۖ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٥].

«قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أدوها أداء وافيا لا نقص فيه ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ الزكاة والصدقات بحسب الأحوال والظروف سرًا أحيانًا وعلانية أحيانًا أخرى. يُخبر تعالى عنهم بعدما وصفهم بما شرفهم به من صفات أنهم ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي: لن تهلك ولن تخسر وذلك يوم القيامة وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أيْ: هداهم لذلك ووفقهم عليه تعالى ليوفيهم أُجورهم ويزيدهم من فضله. وعلة ذلك أنه غفور لعباده المؤمنين التائبين، فيغفر ذنوبهم، ويدخلهم جنته،

(١) تفسير السعدي (ص: ٣١٢)

شكور لطاعاتهم وصالح أعمالهم، فلذا يضاعف لهم أجورهم، ويزيدهم من فضله وله الحمد والمنة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: القرآن الكريم ﴿هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: الواجب عليك وعلى أمتك العمل به لا ما سبقه من الكتب كالتوراة والإنجيل، ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ أي: أمامه من الكتب السابقة، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ﴾ فهو تعالى يعلم أن الكتب السابقة لم تصبح تحمل هداية الله لعباده لِما دَاخَلَهَا من التحريف والتغيير فلذا مع علمه بحاجة البشرية إلى وحي سليم يقدم عليها فتكمل وتسعد عليه متى آمنت به وأخذته نورًا تمشى به في حياتها المادية هذه، أرسلك وأوحى إليك هذا الكتاب الكريم، وأوجب عليك وعلى أمتك العمل به.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ يخبر تعالى أنه أورث أمة الإسلام الكتاب السابق إذ كل ما في التوراة والإنجيل من حق وهدى قد حواه القرآن الكريم، فأُمة القرآن قد ورَّثها الله تعالى كل الكتاب الأول. وقوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل وارتكاب بعض الكبائر، ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ وهو المؤدى للفرائض المجتنب للكبائر، ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ وهو المؤدي للفرائض والنوافل المجتنب للكبائر والصغائر.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الإيراث للكتاب ﴿هُوَ ٱلۡفَضۡلُ﴾ الإلهي ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ وهو ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ جمع سوار ما يجعل في اليد ﴿مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗا﴾ أي أساور من ذهب ولؤلؤ، ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾.

وقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ أي: كل الحزن فلا حزن يصيبهم إذ لا موت في الجنة ولا فراق ولا خوف ولا هَمَّ ولا كرب فمِنْ

أين يأتي الحزن. وقولهم: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ قالوا هذا لأنه تعالى غفر للظالم وشكر للمقتصد عمله فأدخل الجميع الجنة فهو الغفور الشكور حقًا حقًا.

وقولهم: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: الإقامة من فضله هذا ثناء منهم على الله تعالى بإفضاله عليهم، وقولهم: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ أي: تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ أي: إعياء من التعب وصف لدار السلام وهي الجنة الخالية من النصب واللغوب جعلنا الله من أهلها»[(١)].

«وفي الحديث: «سَابِقُنَا سَابِقٌ وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وَظَالِمُنَا مَغْفُورٌ لَهُ» فِيهِ إِرْسَالٌ بَيْنَ مَيْمُونِ بْنِ سِيَاهٍ، وَبَيْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَرُوِيَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ غَيْرِ قَوِيٍّ، عَنْ عُمَرَ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ»[(٢)].

قلت: وإن كان الحديث ضعيفًا إلا أن معناه صحيح ويشهد له قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾.

فشملت الأصناف الثلاثة. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩- ٧٠].

«قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ يقول تعالى مخبرًا عن نبيه محمد ﷺ: أنه ما علمه الشعر ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته؛ ولهذا ورد أنه، عليه الصلاة والسلام، كان لا يحفظ بيتًا على وزن منتظم، بل إن أنشده زحَّفَه أو لم يتمه.يعني في المعنى صلوات الله وسلامه عليه. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

(١) أيسر التفاسير (٣ / ٤٤).

(٢) أورده العقيلي في الضعفاء (٣٥١)، وسعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٣٠٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣١٩٩).

وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ أي: بيِّن واضح جلي لمن تأمله وتدبره. ولهذا قال: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ﴾ أي: لينذر هذا القرآن المبين كل حي على وجه الأرض، كقوله: ﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩]، وقال: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ [هود: ١٧]. وإنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب، مستنير البصيرة، كما قال قتادة: حي القلب، حي البصر. وقال الضحاك: يعني: عاقلًا. ﴿ وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: هو رحمة للمؤمن، وحجة على الكافر»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.

[ص:٢٩]

«وقوله تعالى: ﴿ مُبَٰرَكٌ ﴾ أي كثير الخير»[(٢)].

«ووصف الكتاب بالبركة هو كما أخبر الله، لا تفارق القرآن البركة، وهي الخير الدائم فكل من قرأه متدبرًا عرف الهدى، ومن قرأه تقربًا حصل على القُرب وفاز به، ومن قرأه حاكمًا عدل في حكمه»[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٢٣].

«هذه الآية نزلت لما قال أصحاب الرسول يوما حدثنا يا رسول الله فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ وهو القرآن الكريم ﴿ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ أي: يشبه بعضه بعضا في حسن اللفظ وصحة المعاني ﴿ مَّثَانِىَ ﴾ أي: يثنى فيه الوعد والوعيد والأمر والنهي والقصص ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ أي: عند سماع

(١) صحيح تفسير ابن كثير (٣/ ٦٧١).
(٢) تفسير القاسمي (٨ / ١٤٠).
(٣) أيسر التفاسير (٣ / ١١٤).

آيات الوعيد فيه ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: إذا سمعوا آيات الوعد وتطمئن قلوبهم إذا سمعوا حججه وأدلته. وقوله: ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: القرآن وذكر الله بوعده ووعيده وأسمائه وصفاته. ويشهد له قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ أي: ذلك المذكور وهو القرآن الكريم هدى الله إذ هو الذي أنزله وجعله هاديًا يهدي به من يشاء، هدايته بمعنى يوفقه للإيمان والعمل به وترك الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي: لما سبق في علم الله ولوجود مانع منع من هدايته كالإصرار والعناد والتقليد. فهذا ليس له من هاد يهديه بعد الله أبدًا.

ومن دلالة الآيات: أولًا- بيان أن القرآن أحسن ما يحدث به المؤمن إذ أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل.

ثانيًا- فضيلة أهل الخشية من الله إذ هم الذين ينفعلون لسماع القرآن فترتعد فرائصهم عند سماع وعيد، وتلين قلوبهم وجلودهم عند سماع وعده»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧-٢٨].

«قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: بينا للناس فيه بضرب الأمثال ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٣/ ١٣٨ - ١٣٩) باختصار قليل.

وقوله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله تعالى بذلك ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد»[1].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٤].

«قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ ﴾ بالقرآن، ﴿ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾، على تقدير: الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم. وقيل: خبره قوله من بعد: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾. قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ قال الكلبي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كريم على الله. قال قتادة: أعزه الله عَزَّوَجَلَّ عزا فلا يجد الباطل إليه سبيلًا.

وهو قوله: ﴿ يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ قال قتادة والسدي: ﴿ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ هو الشيطان، لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه.

قال الزجاج: معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وعلى هذا معنى ﴿ ٱلْبَٰطِلُ ﴾: الزيادة والنقصان.

---

(١) «صحيح تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣).

وقال مقاتل: لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله. ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ثم عزى نبيه ﷺ على تكذيبهم.

فقال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من الأذى، ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ يقول: إنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك: ساحر، كما يقال لك وكذبوا كما كذبت،

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لمن تاب وآمن بك ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لمن أصر على التكذيب.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: جعلنا هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس، ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ بغير لغة العرب، ﴿لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها، ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ يعني: أكتاب أعجمي ورسول عربي؟ وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي: أنهم كانوا يقولون: المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي.

قال مقاتل: وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار، غلام عامر بن الحضرمي، وكان يهوديًا أعجميًا، يكنى أبا فكيهة، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار فضربه سيده، وقال: إنك تعلم محمدا، فقال يسار: هو يعلمني، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿هُوَ﴾ يعني القرآن، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ أهدى من الضلالة وشفاء لما في القلوب، وقيل: شفاء من الأوجاع.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ قال قتادة: عُمُوا عن القرآن وصُمُّوا عنه فلا ينتفعون به، ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون»[1].

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/ ١٧٦).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠].

«قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: واذكر إذ أملنا إليك نفرا من الجن، جن نصيبين ونينوى.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ أي: حضروا سماع القرآن قالوا: أي بعضهم لبعض أصغوا لاستماع القرآن.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ أي: فرغ من قراءته رجعوا إلى قومهم مخوفين لهم من العذاب.

وقوله تعالى: ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: من الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: من العقائد في الشرائع والإسلام»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

«قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي: سهلناه للحفظ، وأعنا عليه من وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: متعظ بمواعظه ومعتبر بعبرة، وفي الآية الحث على درس القرآن والاسكثار من تلاوته والمسارعة في تعلمه»[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١-٢].

---

(١) «أيسر التفاسير» (٣/ ٣١٢).

(٢) «زبدة التفاسير» للشيخ محمد الأشقر (ص/ ٥٢٩).

«لما كانت هذه السورة لتعداد نعم الله التي أنعم بها على عباده، قدم النعمة التي هي أجلها قدرًا وأكثرها نفعًا وأتمها فائدة وأعظمها عائدة وهي نعمة تعليم القرآن فإنها مدار سعادة الدرين»(١).

وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

[الواقعة: ٧٥-٨٠]

«قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ وهي مطالعها ومغاربها ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي قسمي هذا

﴿لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أي لو كنتم من أهل العلم ﴿عَظِيمٌ﴾. لأن النجوم ومنازلها ومطالعها ومساقطها ومغاربها التي تغرب فيها أمور عظيمة في خلقها وتدبير الله فيها إنه لقسم بشيء عظيم. المقسم عليه هو قوله إنه أي المكذب به لقرآن كريم»(٢).

«ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ أي: كرمه الله وأعزه ورفع قدره على جميع الكتب، وكرمه عن أن يكون سحرًا أو كهانة أو كذبًا، وقيل: إنه كريم لما فيه من كرم الأخلاق ومعالي الأمور، وقيل: لأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه.

وحكى الواحدي عن أهل المعاني أن وصف القرآن بالكريم، لأن من شأنه أن يعطي الخير الكثير بالدلائل التي تؤدي إلى الحق في الدين. قال الأزهري: الكريم اسم جامع لما يحمد، والقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة. ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ﴾ أي: مستور مصون، وقيل: محفوظ عن الباطل، وهو اللوح.

---

(١) «زبدة التفاسير» (ص/ ٥٣١).

(٢) «أيسر التفاسير» (٣/ ٤٥٥).

قوله تعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ قال مجاهد وقتادة: هو المصحف الذي في أيدينا لا يمسه إلا المطهرون قال الواحدي: أكثر المفسرين على أن الضمير عائد إلى الكتاب المكنون، أي: لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون، وهم الملائكة»[(١)].

«قال ابن عباس: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ يعني: الكتاب الذي في السماء، يقول: لا يمسه إلا الملائكة، وهم المطهرون»[(٢)].

«قوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجليلة هو تنزيل رب العالمين، الذي يربي عباده بنعمه الدينية والدنيوية، ومن أجل تربية ربى بها عباده، إنزاله هذا القرآن، الذي قد اشتمل على مصالح الدارين، ورحم الله به العباد رحمة لا يقدرون لها شكورًا»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

«أي: بلغ من شأنه وعظمته وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب، أنه لو أنزل على جبل من الجبل لرأيته، مع كونه في غاية القسوة وشدة الصلابة وضخامة الجرم، متشققًا من خشية الله، حذرًا من عقابه، وخوفًا من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله»[(٤)].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١-٢].

---

(١) «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ١٩٢) باختصار.

(٢) «تفسير مجاهد» (ص: ٦٤٦).

(٣) «تفسير السعدي» (ص: ٨٣٦).

(٤) «زبدة التفاسير» (ص/ ٥٤٨).

«وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: عدد منهم إلى قراءتي إياه. ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي قالوا لقومهم لما رجعوا إليهم: سمعنا كلاما مقروءا عجبا في فصاحته وبلاغته، وقيل عجبًا في مواعظه، وقيل بركته»[(١)].

وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩].

«كان النبي ﷺ إذا جاءه جبريل بالوحي، وشرع في تلاوته عليه، بادره النبي ﷺ من الحرص قبل أن يفرغ، وتلاه مع تلاوة جبريل إياه، فنهاه الله عن هذا، وقال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

[طه: ١١٤]

وقال هنا: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ثم ضمن له تعالى أنه لا بد أن يحفظه ويقرأه، ويجمعه الله في صدره، فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فالحرص الذي في خاطرك، إنما الداعي له حذر الفوات والنسيان، فإذا ضمنه الله لك فلا موجب لذلك.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي: إذا كمل جبريل قراءة ما أوحى الله إليك، فحينئذ اتبع ما قرأه واقرأه.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي: بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه، وهذا أعلى ما يكون، فامتثل ﷺ لأدب ربه، فكان إذا تلا عليه جبريل القرآن بعد هذا، أنصت له، فإذا فرغ قرأه.

وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما

---

(١) «زبدة التفاسير» (ص/ ٥٧٢).

يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه من حق أو باطل، وليفهمه فهما يتمكن به من الكلام عليه، وفيها: أن النبي ﷺ كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه»[(١)].

وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١- ٢٢].

«قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ كريم شريف كثير الخير، ليس كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ قرأ نافع: ﴿ مَّحْفُوظٍ ﴾ بالرفع على نعت القرآن، فإن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]. وهو أم الكتاب، ومنه نسخ الكتب، محفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان»[(٢)].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

(١) «تفسير السعدي» (ص: ٨٩٩).

(٢) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٩٨).

obeikandl.com

المبحث الثالث

بعض الأحاديث الواردة في فضل القرآن

فضل من تعلم القرآن وعلمه

الحديث الأول: وروينا في صحيح كتاب إمام المحدثين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بإسناده عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(١).

قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.

الحديث الثاني: وعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(٢).

قلت: قوله (**وَذَاكَ**) إشارة إلى الحديث الذي رواه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في فضل تعلم القرآن وتعليمه.

(**مَقْعَدِي هَذَا**): أي لإقراء الناس وتعليمهم كتاب الله لأحصل على تلك الفضيلة وهذه الخيرية.

شرح الحديثين:

قال أبو الحسن عبيد الله المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**خَيْرُكُمْ**»، وفي رواية: «**إِنَّ أَفْضَلَكُمْ**» ولا فرق بينهما في المعنى لأن قوله: «**خَيْرُكُمْ**» تقديره: أخيركم، ولا شك إن أخيرهم هو أفضلهم»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري في باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٤/ ٤٧٣٩)وأبو داود (١/ ١٤٥٢) والترمذي (٥ / ٢٩٠٧)، وابن حبان (١ / ١١٨)، والنسائي (٥ / ٨٠٣٧)

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٤ / ٤٧٤٠).

(٣) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧ / ٢١٢٩).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، كذا للأكثر، وورد: أو علمه وهي للتنويع لا للشك وكذا لأحمد عن غندر وعفان عن شعبة، وزاد غندر في أوله إن، وأكثر الرواة عن شعبه يقولونه بالواو، وكذا وقع عند أحمد عن بهز، وعند أبي داود عن حفص بن عمر كلاهما عن شعبة وكذا أخرجه أحمد والترمذي من حديث علي. وهي أظهر من حيث المعنى لأن التي «بأو» تقتضي إثبات الخيرية المذكورة لمن فعل أحد الأمرين فيلزم أن من تعلم القرآن ولو لم يعلمه غيره أن يكون خيرًا ممن عمل بما فيه مثلًا، وإن لم يتعلمه، ولا يقال يلزم على رواية الواو أيضًا إن من تعلمه وعلمه غيره أن يكون أفضل ممن عمل بما فيه من غير أن يتعلمه ولم يعلمه غيره، لأنا نقول يحتمل أن يكون المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم، والذي يعلم غيره يحصل له النفع المتعدي بخلاف من يعمل فقط، والقرآن أشرف العلوم فيكون من تعلمه وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن، وإن علمه ولا شك إن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل»[(١)].

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحديث عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يدل أن قراءة القرآن أفضل أعمال البر كلها؛ لأنه لما كان مَنْ تعلم القرآن أو علمه أفضل الناس وخيرهم دل ذلك على ما قلناه؛ لأنه إنما وجبت له الخيرية والفضل من أجل القرآن، وكان له فضل التعليم جاريًا ما دام كل من علمه تاليًا»[(٢)].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» الخطاب للأمة عامة فخير الناس من جمع بين هذين الوصفين من تعلم القرآن وعلّم

---

(١) «فتح الباري»، لابن حجر العسقلاني (٩ / ٧٦).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠ / ٢٦٥).

القرآن، تعلمه من غيره، وعلّمه غيره والتعلم والتعليم يشمل التعلم اللفظي والمعنوي، فمن حفظ القرآن يعني صار يعلم الناس التلاوة ويحفظهم إياها فهو داخل في التعليم، وكذلك من تعلم القرآن على هذا الوجه فهو داخل في التعلم، وبه نعرف فضيلة الحِلق الموجودة الآن في كثير من البلاد ولله الحمد في المساجد حيث يتعلم الصبيان فيها كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فمن ساهم فيها بشيء فله أجر، ومن أدخل أولاده فيها فله أجر، ومن تبرع وعلم فيها فله أجر، كلهم داخلون في قوله: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». والنوع الثاني: تعليم المعنى يعني تعليم التفسير. وهو أن يجلس الإنسان إلى الناس يعلمهم تفسير كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فإذا علم الإنسان غيره كيف يفسر القرآن وأعطاه القواعد في ذلك فهذا من تعليم القرآن، وليعلم أن القرآن الكريم ليس كغيره من الكتب من حيث التفسير يعني أنه لا يجوز للإنسان أن يفسر القرآن بهواه، ويحمل الآيات على ما يريده هو كما يفعل أهل الإلحاد بآيات الله عَزَّوَجَلَّ من أهل التعطيل وغيرهم، يحملون الآية على غير ما أراد الله، مثلًا يقول في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، يقول وجاء أمر ربك هذا حرام لا يجوز؛ لأن الذي يفسر القرآن إنما يشهد على الله أنه أراد كذا، وهذه عظيمة وليست هينة لو كنت تفسر كلام عالم من العلماء لعد ذلك جناية إذا فسرته بما تريد أنت، فكيف بكلام رب العالمين»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- الحث على تعلم القرآن.

٢- الحث على تعليم القرآن.

٣- ثبوت الخيرية والأفضلية لمن تعلم القرآن وعلمه وعمل بما فيه.

٤- ثبوت أفضلية القرآن على سائر الكلام، لأفضلية أهله على سائر الناس.

---

(١) «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين (٤ / ٦٤١) باختصار.

٥- الحث على نشر العلم وعدم كتمه.

٦- اتباع السلف الصالح لسنة النبي ﷺ، وعملهم بها وردهم من العلم. دل عليه قعود أبي عبد الرحمن السلمي لتعليم القرآن لنيل الخيرية والأفضلية.

أهل القرآن هم أهل الله وخاصته

وروينا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ لله أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ**»[(١)].

«**إِنَّ لله أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**» قالوا ومن هم يا رسول الله؟ قال: «أَهْلُ الْقُرْآنِ» وأكد ذلك وزاده إيضاحا وتقريرا في النفوس بقوله: «**هُمْ أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ**» أي الذين يختصون بخدمته. قال العسكري: هذا على المجاز والتوسع فإنه لما قربهم واختصهم كانوا كأهله ومنه قيل لأهل مكة أهل الله لما كانوا سكان بيته وما حوله كانوا كأهله.

«**أَهْلُ الله وَخَاصَّتُهُ**» أي حفظة القرآن العاملون به هم أولياء الله المختصون به اختصاص أهل الإنسان به، سموا بذلك تعظيمًا لهم كما يقال بيت الله. قال الحكيم: وإنما يكون هذا في قارئ انتفى عنه جور قلبه وذهب جناية نفسه فأمنه القرآن فارتفع في صدره وتكشف له عن زينته ومهابته فمثله كعروس مزين مد يده إليها دنس متلوث متلطخ بالقذر فهي تعافه وتتقذره فإذا تطهر وتزين وتطيب فقد أدى حقها وأقبلت إليه بوجهها فصار من أهلها فكذا القرآن فليس من أهله إلا من تطهر من الذنوب ظاهرا وباطنا وتزين بالطاعة كذلك فعندها يكون من أهل الله وحرام على من ليس بهذه الصفة أن يكون من الخواص وكيف ينال هذه الرتبة العظمى عبد أبق من مولاه واتخذ إلهه هواه؟»[(٢)].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (١/ ٢١٥)، وأحمد في مسنده (٣/ ١٢٣٠١)، والنسائي (٥/ ٨٠٣) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٣٢).

(٢) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٢٣٧٥). (٣/ ٢٧٦٨).

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- بيان فضل أهل القرآن.

٢- الحث على حفظ القرآن، والعمل به.

٣- مزية أهل القرآن على غيرهم من الناس، كونهم أهل الله وخاصته.

٤- أهل القرآن أولياء الله.

٥- أن الله يختص برحمته وكرمه وإنعامه وإفضاله من يشاء من عباده، ممن يستحقون ذلك، كما قال تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران:٧٤].

منزلة صاحب القرآن

الحديث الأول: وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»(١).

الحديث الثاني: وعَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ كُنْتَ تَقْرَؤُهَا**»(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١ / ١٤٦٤)، والترمذي (٥ / ٢٩١٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٦٧٩٩)، وابن حبان (٣ / ٧٦٦)، والبيهقي (٢ / ٢٢٥٣)، والنسائي (٥ / ٨٠٥٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٤٠).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١ / ١٤٦٤)، والترمذي (٥ / ٢٩١٤)، وأحمد في مسنده (٢/ ٦٧٩٩)، وابن حبان (٣ / ٧٦٦)، والبيهقي (٢ / ٢٢٥٣)، والنسائي (٥ / ٨٠٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٢٠١).

الحديث الثالث: وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ اقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ»(١).

شرح الأحاديث:

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «جعلت درج الجنة على عدد آي القرآن، فمن قرأ ثلث القرآن كان على الثلث من درج الجنة، ومن قرأ نصفه كان على النصف من درج الجنة، ومن قرأ القرآن كله كان فى عاليه لم يكن فوقه أحد إلا نبى أو صديق أو شهيد»(٢).

قال الإمام بد الدين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «وَارْتَقِ» أمر من ارتقى يَرتقي، ومعناه: اصعَدْ إلى منزلك درجةً درجةً، فإن منزلَه بحسَب قراءته من الآيات، وهو معنى قوله: «فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» وجاء في الأثر أن عدد أي القرآن على قدر عدد درج الجنة، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة، ومن قرأ جزءًا منها كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب على قدر منتهى القراءة»(٣).

وقال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصحبة للشيء: الملازمة له، ويكون بالبدن، وهو الأصل والأكثر، ويكون بالعناية والهمة، وصاحب القرآن: هو الملازم له بالهمة والعناية، ويكون ذلك تارةً بالحفظ والتلاوة، وتارةً بالتدبر له والعمل به، فإن ذهبنا إلى الأول، فالمراد من الدرجات بعضها دون بعض، والمنزلة التي في الحديث: هي ما يناله العبد من الكرامة على حسب منزلته في الحفظِ والتلاوة لا غير، وذلك لما عرفنا من أصل الدِّين: أنَّ

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢ / ٣٧٨٠)، والترمذي (٥ / ٢٩١٤)، وأحمد في مسنده (١١٣٦١) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٨١٢١).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠ / ٢٥٦).

(٣) «شرح سنن أبي داود» لبدر الدين العيني (٥ / ٣٨١).

العامل بكتاب الله المتدبر له أفضل من الحافظ والتالي له إذا لم ينل شأوه في العمل والتدبر.

وإن ذهبنا إلى الثاني -وهو أحق الوجهين وأتمهما- فالمراد من الدرجات التي يستحقها بالآيات سائرها، وحينئذٍ تُقَدَّر التلاوة في القيامة على مقدار العمل، فلا يستطيع أحد أن يتلو آية إلاَّ وقد أقام ما يجب عليه فيها، واستكمال ذلك إنما يكونُ للنَّبي ﷺ ثم للأمة بعده على مراتبهم ومنازلهم في الدِّين، كل منهم يقرؤه على مقدار مُلازمته إياه تدبرًا، وعملًا»[(١)].

قال أبو الحسن المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**يُقَالُ**»: أي في الآخرة عند دخول الجنة، «**لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ**» أي من يلازمه بالتلاوة والعمل «**اقْرَأْ وَارْقَ**» أمر من الإرتقاء أي اصعد، وفي رواية أحمد والترمذي اقرأ وارق، وهو أمر من رَقِيَ يرقي رقيًا، أي إصعد إلى درجات الجنة وارتفع فيها، يقال: رقِيَ الجبلَ، وفيه وإليه رَقْيًا ورُقيًّا: أي صعد، «**وَرَتِّلْ**»: أي اقرأ بالترتيل ولا تستعجل في قراءتك «**كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا**» من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، «فَإِنَّ مَنْزِلَكَ» وفي رواية أحمد والترمذي، فإن منزلتك وكذا وقع في بعض النسخ من سنن أبي داود «عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» قد جاء في الأثر إن عدد آي القرآن على قدر درج الجنة، يقال للقاري إرق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة، ومن قرأ جزءًا منها كان رقية في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- بيان فضل حفظ القرآن الكريم.

٢- بيان فضل ترتيل القرآن.

---

(١) «قوت المغتذي على جامع الترمذي» (٢ / ٢٩١٤).

(٢) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧ / ٢١٥٤) باختصار.

٣- منزلة صاحب القرآن يوم القيامة وعلو مكانته.

٤- بيان درجات الجنة، وأنها درجات ومنازل.

فضيلة الماهر بالقرآن

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**». وفي رواية: «**وَالَّذِي يَقْرَؤُهُ وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ**»(١).

«**المَاهِرُ**: الحاذق. و(**السَّفَرَةِ**): المَلَائِكَة. وَفِي تسميتهم بالسفرة قَولَانِ: **أَحدهمَا**: أَنه مَأْخُوذ من الْبَيَان والإيضاح، فسموا سفرة: أَي كتبة؛ لِأَن الْكَاتِب يبين الشَّيْء ويوضحه، وَيُقَال لِلْكَاتِبِ سَافر. **وَالثَّانِي**: مَأْخُوذ من السفارة، والسفير: الَّذِي يصلح بَين الِاثْنَيْنِ. يُقَال: سفرت بَين الْقَوْم: أَي أصلحت.

وَفِيمَا يسفرون فِيهِ قَولَانِ: أَحدهمَا: أَنهم يسفرون فِيمَا بَين الله وأنبيائه. وَالثَّانِي: فِي صَلَاح النَّاس، لأَنهم ينزلون بِالْوَحْي والتأديب المصلح.

وَقَوله: (**الْكِرَام البررة**): أَي كرام على رَبهم، (**برزة**): أَي مطيعون.

و(**التعتعة**): التَّرَدُّد فِي الشَّيْء والتبلد.

وَرُبمَا تخايل السَّامع فِي قَوْله: (**لَهُ أَجْرَانِ**) أَنه يزِيد على الماهر، وَلَيْسَ كَذَلِك؛ لِأَن المضاعفة للماهر لَا تحصر؛ فَإِن الْحَسَنَة قد تضَاعف إِلَى سَبْعمِائَة وَأَكْثر، فَإِنَّمَا الْأجر شَيْء

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤ / ٤٦٥٣)، ومسلم (٤ / ٧٩٨)، وأبو داود (١ / ١٤٥٤) والترمذي (٥/ ٩٠٤)،وابن ماجة (٢/ ٣٧٧٩)، وأحمد في مسنده (٦ / ٢٤٢٥٧)،والنسائي (٥ / ٨٠٤٦) وابن حبان (٣ / ٧٧).

مُقَدّر، فالحسنة لَهَا ثَوَاب مَعْلُوم، وفاعلها يعْطى ذَلِك الثَّوَاب مضاعفا إِلَى عشر مَرَّات، وَهَذَا المقصر مِنْهُ أَجْرَانِ.

فَإِن قيل: فَهَلا جعل أجر هَذَا الَّذِي يشق عَلَيْهِ الْقُرْآن أَكثر، لِأَن مشقته أعظم؟ فَالْجَوَاب من وَجْهَيْن: **أَحدهمَا-** أَنه لَا يمهر مِنْهُ غَالِبًا إِلَّا عَن كَثْرَة الدراسة، وَلَا يَقع التتعتع غَالِبًا إِلَّا عَن قلتهَا، فباجتهاد الْحَافِظ حَتَّى اسْتَقر فِي قلبه ارْتَفع أجره.

وَالثَّانِي- أَن يفضل الْحَافِظ الْفَهم على البليد؛ لجوهرية خص بهَا لَا تكسب، كَمَا فضل الْعَرَبِيّ على الكودن، وَذَلِكَ فضل الله يؤتيه من يَشَاء»[(١)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بالمهارة بالقرآن جودة الحفظ وجودة التلاوة من غير تردد فيه لكونه يسره الله تعالى عليه كما يسره على الملائكة فكان مثلها في الحفظ والدرجة»[(٢)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والماهر: الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه، قال القاضي: يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقًا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى، قال ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم، وأما الذي يتتعتع فيه: فهو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته، قال القاضي وغيره من العلماء وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة ولم يذكر هذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه والله أعلم»[(٣)].

---

(١) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (٤ / ٣٦٥).

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٥١٩) تعليق ابن باز.

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٦ / ٨٥).

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- التحريض على تعلم كتاب الله وإتقان قراءته.

٢- بيان منزلة الماهر بالقرآن، وأنه في أعلى منازل الجنة.

٣- بيان أجر من يتتعتع في القرآن، لحرصه على القراءة، وتعلقه بكتاب الله.

٤- بيان فضل التجويد.

٥- على الإنسان أن لا يعدم الخير، فإن كان حفظه ضعيفًا، وقراءته غير متقنة، فلا ينقطع عن القراءة لأجل ذلك، بل يقرأ حتى يحصل الأجر والثواب.

٦- بيان فضل العالم والمتعلم على من دونهما.

٧- بيان أن هناك منازل عالية في الجنة، أعدها الله لمن يستحقها من خلقه، وهناك درجات دونها.

فضل القرآن على سائر الكلام

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**»[(١)].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥/ ٥١١١)، ومسلم (١/ ٧٩٧)، والترمذي (٥/ ٢٨٦)، وابن ماجة (٢/ ٣٧٧٩)، والنسائي (٨/ ٥٠٣٨)، وأحمد في مسنده (٤/ ١٩٥٦)، وابن حبان (٣/ ٧٧).

«(الأُتْرُجَّةِ): واحدة نوع من الثمار الحمضيات جميل المنظر طيب الطعم والنكهة لين الملمس كثير المنافع. (الرَّيْحَانَةِ): واحدة نوع من النبات. (الحَنْظَلَةِ): واحدة نوع من ثمار أشجار الصحراء التي لا تؤكل»[١].

وقد ذكر البخاري هذا الحديث في باب ذكر الطعام، «ووجه ذكر البخارى لهذا الحديث فى هذا الباب هو أنه لما كان ما جمع طيب الريح وطيب المطعم أفضل المأكولات، وشبه النبى ﷺ المؤمن الذى يقرأ القرآن بالأترجة التى جمعت طيب الريح وطيب المطعم؛ دل ذلك أن القرآن أفضل الكلام، ودل هذا الحديث على مثل القرآن وحامله والعامل به والتارك له»[٢].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله: «رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ»: قيل خص صفة الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه، ثم قيل الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة لأنه يتداوى بقشرها، ويستخرج من حبها دهن له منافع، وقيل إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج، فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيها أيضًا من المزايا كبر جرمها وحسن منظرها، وتفريح لونها ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وجودة هضم، ولها منافع أخرى مذكورة في المفردات، ووقع في رواية شعبة عن قتادة: المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به وهي زيادة مفسرة للمراد، وأن التمثيل وقع بالذي يقرأ القرآن ولا يخالف ما اشتمل عليه من أمر ونهي، لا مطلق التلاوة فإن

---

(١) تعليق د مصطفى البغا على البخاري (٦/ ١٩٠).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠ / ٢٥٦).

قيل: لو كان كذلك لكثر التقسيم، كأن يقال الذي يقرأ ويعمل وعكسه والذي يعمل ولا يقرأ وعكسه، والأقسام الأربعة ممكنة في غير المنافق، وأما المنافق فليس له إلا قسمان فقط؛ لأنه لا اعتبار بعمله إذا كان نفاقه نفاق كفر، وكأن الجواب عن ذلك أن الذي حذف من التمثيل قسمان: الذي يقرأ ولا يعمل، والذي لا يعمل ولا يقرأ وهما شبيهان بحال المنافق فيمكن تشبيه الأول بالريحانة، والثاني بالحنظلة، فاكتفي بذكر المنافق، والقسمان الآخران قد ذكرا قوله ولا ريح فيها، وفي الحديث فضيلة حاملي القرآن وضرب المثل للتقريب للفهم، وأن المقصود من تلاوة القرآن العمل، ومطابقة الحديث للترجمة من جهة ثبوت فضل قارئ القرآن على غيره، فيستلزم فضل القرآن على سائر الكلام،كما فضل الأترج على سائر الفواكه»[(١)].

وقال الشيخ فيصل النجدي: «شبه المؤمن القارئ بالأترجة لما اشتملت عليه من الخواص الموجودة فيها مع حسن المنظر، وطيب الطعم، ولين الملمس، ويستفيد المتناول لها بعد الالتذاذ بها طيب النكهة، ودباغ المعدة، وقوة الهضم، فاشتركت فيها الحواس الأربع: الشم، والبصر، والذوق، واللمس.

وشبه المؤمن غير القارئ بالتمرة لاشتماله على الإيمان كاشتمال التمرة على الحلاوة. وشبه المنافق الذي يقرأ القرآن بالريحانة لطيب تلاوته، وخبث عمله. وشبه المنافق الذي لا يقرأ بالحنظلة، وهي الشجرة الخبيثة»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- التحريض على قراءة القرآن.

٢- فضيلة حفظ القرآن.

---

(١) «فتح الباري» (٩ / ٦٧).

(٢) «تطريز رياض الصالحين» (ص: ٥٨٠).

٣- المقصود من قراءة القرآن العمل بما دل عليه، لا مجرد القراءة اللفظية دون العمل.

٤- بيان فضل المؤمنين، وذم المنافقين.

٥- ضرب الأمثال لتقريب المعنى لذهن السامع.

القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة

وعن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»(١).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ**» فأمر بقراءة القرآن وأطلق فهي مستحبة كل وقت وعلى كل حال، إلا إذا كان الإنسان على حاجة يعني يبول أو يتغوط فلا يقرأ القرآن؛ لأن القرآن معظم محترم، فلا يقرأ في هذه الحال، وكذلك إذا كان الإنسان مع أهله حال جِماعه فإنه لا يقرأ القرآن، لكنه يقول عند جماعة: «**بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا**»، قوله: «**فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»: إذا كان يوم القيامة جعل الله عَزَّوَجَلَّ ثواب هذا القرآن شيئًا قائمًا بنفسه، يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، يشفع لهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن القرآن إذا تلاه الإنسان محتسبا فيه الأجر عند الله فله بكل حرف عشر حسنات، وقراءة القرآن هنا مقيدة بالعمل به، لأن الذين يقرءون القرآن ينقسمون إلى قسمين: قسم لا يعمل به فلا يؤمنون بأخباره،ولا يعملون بأحكامه، هؤلاء يكون القرآن حجة عليهم، وقسم آخر يؤمنون بأخباره ويصدقون بها ويعملون بأحكامه فهؤلاء يكون القرآن حجة لهم، يحاج عنهم يوم القيامة لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»(٢)، وفي هذا دليل على أن أهم شيء في القرآن

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١ / ٨٠٤)، والطبراني في المعجم الأوسط (١ / ٤٦٨) والبيهقي (٢ / ٣٨٦٢).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١ / ٢٢٣)، والترمذي (٥ / ٣٥١٧) والنسائي (٥/ ٢٤٣٧). وغيرهم. وهو جزء من حديث عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ.

العمل به، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، أي يتفهمون معانيها ويعملون بها، وإنما أخر العمل عن التدبر لأنه لا يمكن العمل بلا تدبر إذا إن التدبر يحصل به العلم، والعمل فرع عن العلم، فالمهم أن هذا هو الفائدة من إنزال القرآن أن يتلى ويعمل به، يؤمن بأخباره، يعمل بأحكامه، يمتثل أمره، يجتنب نهيه، فإذا كان يوم القيامة فإنه يحاج عن أصحابه»[(١)].

قال الشيخ المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ**»: أي اغتنموا قراءته وداوموا عليه، «**فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»: أي لقارئيه بأن يتمثل بصورة يراه الناس كما يجعل الله لأعمال العباد صورة ووزنًا؛ لتوضع في الميزان والله على كل شيء قدير، فليقبل المؤمن هذا وأمثاله ويعتقد بإيمانه أنه ليس للعقل في مثل هذا سبيل»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- التحريض على قراءة القرآن وحفظه، والعمل به.

٢- شفاعة القرآن لأهله يوم القيامة.

٣- إثبات الشفاعة يوم القيامة، وفيه رد على من أنكر الشفاعة.

ثواب قراءة القرآن

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[(٣)].

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ٦٣٦).

(٢) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢١٤٠).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩١٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٣٢٧).

قال الشيخ ملا القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ»: أي القرآن، «فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ»: أي عطية، «وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»: أي مضاعفة بالعشر وهو أقل التضاعف الموعود بقوله تعالى: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، والله يضاعف لمن يشاء، والحرف يطلق على حرف الهجاء،والمعاني،والجملة المفيدة، والكلمة المختلف في قراءتها،وعلى مطلق الكلمة، ولذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»، بالتنوين وقيل:بالسكون على الحكاية»[(١)].

وقال الشيخ محمد علي الصديقي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ»: القرآن المنزل على رسول الله للإعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته، «فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ»: هي ذلك الحرف المقروء «وَالحَسَنَةُ» مجزية «بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا» فالقارئ مجازى عن الحرف الواحد بعشر حسنات، «لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ» أي: لا أقول إن مجموع الأحرف الثلاثة حرف «وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» أي فيثاب قارئ ذلك ثلاثين حسنة»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- التحريض على قراءة القرآن وحفظه، والمداومة عليه.

٢- بيان فضل القراءة وثواب قراءته، وأن الحرف بعشر حسنات. والله يضاعف لمن يشاء.

٣- مضاعفة الثواب على الأعمال الصاحة.

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ٢١٣٧).

(٢) «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٦/ ٤٨٢).

فضل الاجتماع على تلاوة القرآن

وروينا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١).

قال الإمام ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك. ومعنى تنفيس الكربة: إزلتها. قوله: (وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا) الستر عليه أن يستر زلاته والمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفًا بالفساد وهذا في ستر معصية وقعت وانقضت أما إذا علم معصيته وهو متلبس بها فيجب المبادرة بالإنكار عليه ومنعه منها فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إن لم يترتب على ذلك مفسدة.

قوله: (وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ): هذا الإجمال لا يسع تفسيره إلا أن منه أن العبد إذا عزم على معاونة أخيه ينبغي أن لا يجبن عن إنفاذ قول أو صدع بحق إيمانًا بأن الله تعالى في عونه، وفي الحديث: فضل التيسير على المعسر وفضل السعي

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٤ / ٢٦٩٩)، وابن ماجة (١ / ٢٢٥)، وأبو داود (١ / ١٤٥٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٧٤٢١).

في طلب العلم ويلزم من ذلك فضل الاشتغال بالعلم والمراد العلم الشرعي ويشترط أن يقصد به وجه الله تعالى وإن كان شرطًا في كل عبادة.

قوله: (**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ**) هذا دليل على فضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد. و(**السَّكِينَةُ**) ها هنا قيل: المراد بها الرحمة وهو ضعيف لعطف الرحمة عليها وقال بعضهم: السكينة الطمأنينة والوقار وهذا أحسن، وفي قوله: «وما اجتمع قوم» هذا نكرة شائعة في جنسها كأنه يقول: أي قوم اجتمعوا على ذلك كان لهم ما ذكره من الفضل كله فإنه لم يشترط ﷺ هنا فيهم أن يكونوا علماء ولا زهادًا ولا ذوي مقامات

ومعنى (**وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ**): أي حافتهم من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر:٧٥]. أي محدقين محيطين به مطيفين بجوانبه. فكأن الملائكة قريب منهم قربًا حفتهم حتى لم تدع فرجة تتسع لشيطان.

قوله: (**وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ**): لا يستعمل غشي إلا في شيء شمل المغشي من جميع أجزائه، قال الشيخ شهاب الدين بن فرج: والمعنى في هذا فيما أرى أن غشيان الرحمة يكون بحيث يستوعب كل ذنب تقدم إن شاء الله تعالى.

قوله: (**وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**): يقتضي أن يكون ذكر الله تعالى لهم في الأنبياء وكرام الملائكة والله أعلم»[(١)].

«قوله: (**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**): أنَّ العمل هو الذي يبلُغ بالعبدِ درجاتِ الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٣٢]. ، فمن أبطأ به عمله أنْ يبلُغَ به المنازلَ العالية عند الله تعالى،

(١) «شرح الأربعين النووية» لابن دقيق العيد ص[١١٩].

لم يُسرِعْ به نسبه، فيبلغه تلكَ الدَّرجاتِ، فإنَّ الله تعالى رتَّبَ الجزاءَ على الأعمال، لا على الأنساب، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠١]».

قال بعضهم:

لَعَمْرُكَ ما الإنسانُ إلاَّ بِدينِهِ ... فَلا تَتْرُكِ التَّقوى اتِّكالًا على النسب

لَقد رَفَعَ الإسلامُ سَلمانَ فارِسٍ ... وقَد وَضَعَ الشِّركُ الشقيَّ أبا لَهب

فلا ينبغي أن يتكل الإنسان على شرف النسب وفضيلة الآباء ويقصر في العمل»[(١)].

ويؤخذ من الحديث[(٢)]:

١- فضل قضاء حاجات المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم. أو جاه أو مال، أو إشارة، أو نصح، أو دلالة على خير، أو إعانة بنفسه، أو بوساطته، أو الدعاء بظهر الغيب.

٢- الترغيب في التيسير على المعسر.

٣- الترغيب في ستر المسلم الذي لم يكن معروفا بالفساد، أما المعروف الذي لا يبالي ما ارتكب منه، ولا بما قيل له، فلا يستر عليه، بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة، لأن الستر على ذلك يطغيه في الفساد وانتهاك الحرمات، ويجزيء غيره على مثل فعله. وهذا كله إنما هو في معصية انقضت، أما التي رآه عليه وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها، ومنعه منها على من قدر على ذلك، ولا يحل له التأخير، فإن عجز لزمه رفع ذلك إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة.

٤- أن العبد إذا عزم على معاونة أخيه فينبغي له أن لا يجبن عن إنفاذ قوله وصدعه بالحق، إيمانا بأن الله تعالى في عونه.

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (٣/ ١٠٢٨).

(٢) «التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثًا النووية» ص[٥٩].

٥- فضل الاشتغال بطلب العلم.

٦- الحث على الاجتماع على تلاوة القرآن في المساجد.

٧- أن الجزاء إنما رتبه الله على الأعمال لا على الأنساب.

٨- أن الجزاء تارة يكون من جنس الفعل.

فضل تلاوة القرآن في المسجد

وروينا عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رَسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فقال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوِ الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ؟**» فقلت: يا رسول الله كلنا نحب ذلك، قال: «**أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ**»[1].

«قوله: (وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ): مكان مظلل في مؤخر المسجد، أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل. قال ابن حجر: كانت هي في مؤخر المسجد معدة لفقراء أصحابه الغير المتأهلين وكانوا يكثرون تارة حتى يبلغوا نحو المائتين، ويقلون أخرى لإرسالهم في الجهاد وتعليم القرآن. وقال الجزري: أهل الصفة فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة، قال الكرماني: وكانوا سبعين ويقلون حينًا ويكثرون. وقال السيوطي: عدهم أبونعيم في الحلية أكثر من مائة. «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ»: أي يذهب في الغدوة وهي أول النهار «إِلَى بُطْحَانَ»: اسم واد بقرب المدينة، سمي بذلك لسعته وانبساطه من البطح وهو البسط. «أَوِ الْعَقِيقِ»: قيل: أراد العقيق الأصغر وهو على ثلاثة أميال أو ميلين من المدينة، وفيه بئر رومة، وهناك

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢/ ٨٠٣).

عقيق أكبر، وإنما خصهما بالذكر لأنهما من أقرب الأودية التي كانوا يقيمون فيها أسواق الإبل إلى المدينة. والظاهر إن «أو» للتنويع، أو قال إلى العقيق فدل على أنه شك من الراوي قاله القاري. «فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ»: تثنية كَوماء، بفتح الكاف وسكون الواو، وهي الناقة العظيمة السنام، وأصل الكوم العلو، أي فيحصل ناقتين مشرفتي السنام عاليتيه عظيمتيه. وإنما ضرب المثل بها لأنها كانت من أحب الأموال إليهم وأنفس المتاجر لديهم. «فِي غَيْرِ إِثْمٍ»: أي في غير ما يوجب إثمًا كسرقة وغصب سمي موجب الإثم إثمًا مجازًا. «وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ»: أي في غير ما يوجبه وهو تخصيص بعد تعيم. «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ»: أي ألا يترك ذلك فلا يغدو «إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ» أي: فيتعلم، «أَوْ يَقْرَأُ» يحتمل الشك والتنويع. وقوله: «خَيْرٌ» خبر مبتدأ محذوف أي هما أو الغدو. «خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ»: أي من الآيات. «خَيْرٌ مِنْ ثَلَاث»: أي من الإبل. قال ابن حبان: هذا الخبر أضمر فيه كلمة وهي «لو تصدق بها» يريد بقوله: «فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين وثلاث» لو تصدق بها لأن فضل تعلم آيتين من كتاب الله أكبر من فضل ناقتين وثلاث وعدادهن من الإبل لو تصدق بها إذ محال أن يشبه من تعلم آيتين من كتاب الله في الأجر بمن نال بعض حطام الدنيا. «وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ»: جمع عدد «مِنَ الْإِبِلِ»: بيان للأعداد. قيل: من أعدادهن متعلق بمحذوف تقديره وأكثر من أربع آيات خير من أعدادهن من الإبل فخمس آيات خير من خمس إبل وعلى هذا القياس. وقيل: يحتمل أن يراد أن آيتين خير من ناقتين ومن أعدادهما من الإبل، وثلاث خير له من ثلاث. ومن أعدادهن من الإبل، وكذا أربع. والحاصل إن الآيات تفضل على أعدادهن من النوق وعلى أعدادهن من الإبل كذا ذكره الطيبي. ويوضحه ما قيل إنه متعلق بقوله آيتين وثلاث وأربع، ومجرور أعدادهن عائد إلى الأعداد التي سبق ذكرها، «ومن الإبل» بدل

من أعدادهن، أو بيان له يعني آيتان خير من عدد كثير من الإبل، وكذلك ثلاث وأربع آيات منه، لأن قراءة القرآن تنفع في الدنيا والآخرة نفعًا عظيمًا بخلاف الإبل. والحاصل إنه ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم عن الفانيات فذكر هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله تعالى أو ثوابها من الدرجات العلى»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- الحث على تعلم القرآن وتعليمه.

٢- فضل القرآن الكريم الذي لا يضاهيه فضل.

٣- فضل البكور، وهو المقصود من الغدوة.

٤- فضل الاجتماع على تلاوة القرآن في المسجد.

٥- التحذير من قطيعة الرحم.

٦- ضرب الأمثال لتقريب المعنى لذهن السامع.

القرآن عصمة من الضلالة

الحديث الأول: وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «..... **وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ....**»[(٢)].

الحديث الثاني: وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا وَأَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**»

---

(١) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧ / ٢١٣٠).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١ / ١٢١٨).

قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»(١).

الحديث الثالث: وعن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ عن النبي ﷺ قال: «أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ لِزَيْدٍ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ»(٢).

وفي رواية أخرى: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ»(٣).

شرح الحديث الأول: «قوله: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا»: أي فيما بينكم وما موصولة أو موصوفة، «لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ»: أي بعد تركي إياه فيكم، كما قاله ابن الملك وتبعه ابن حجر، أو بعد التمسك به والعمل بما فيه كما قاله الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ، ويؤيد الأول قوله: «إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ»: أي في الاعتقاد والعمل، «كِتَابُ اللهِ»: بالنصب بدل أو بيان لما في

---

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (١/ ١٢٢)، والبيهقي (٣/ ١٧٩٢)، ومصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٠٠٦).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤ / ٢٤٠٨).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٤ / ٢٤٠٨).

التفسير بعد الإبهام تفخيم لشأن القرآن، ويجوز الرفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب الله، وبها اقتصر على الكتاب لأنه مشتمل على العمل بالسنة لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]. وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، فيلزم من العمل بالكتاب العمل بالسنة، وفيه إيماء إلى أن الأصل الأصيل هو الكتاب»[(١)].

شرح الحديث الثاني: «**سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ**: أي حبل يرتقى به قال ابن الأثير «النهاية»: أصله من السبب وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء. وقيل لا يسمى الحبل سببًا حتى يكون أحد طرفيه معلقًا بالسقف أو نحوه. قوله ﷺ: (**فَتَمَسَّكُوا بِهِ**): أي لأنه يتوصل به إلى الخروج من الفتن والبعد عن الضلال والكفر، قال الطيبي: من ترك العمل بآية أو بكلمة من القرآن مما يجب العمل به أو ترك قراءتها من التكبر كفر ومن ترك عجزًا أو كسلًا أو ضعفًا مع اعتقاد تعظيمه فلا إثم عليه أي بترك القراءة ولكنه محروم. والقرآن حبل الله المتين طرفه بيد الله وطرفه الآخر بيد المؤمن، فمن استمسك به فتعلم وعمل وعلم مخلصًا لله متبعًا لهدي كتابه وسنة رسوله ﷺ لم يضل أبدًا حتى يلقى الله فهذه بشارة من النبي ﷺ لمن حفظ كتاب الله وعمل به نسأل الله أن يجعلنا منهم. قال الطيبي: والحبل مستعار للوصل ولكل ما يتوصل به إلى شيء أي الوسيلة القوية إلى معرفة ربه وسعادة قربه».

شرح الحديث الثالث: «(**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ**): الحاضرون أو أعم، (**فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي**): يعني ملك الموت ،(**فَأُجِيبَ**): أي أموت، كَنَّى عنه بالإجابة إشارة إلى أنه ينبغي تلقيه بالقبول كأنه مجيب إليه باختياره، (**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ**): الأمرين العظيمين، سميا به لعظم شأنهما وشرفهما (**أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ**): قدمه لأحقيته بالتقدم: (**فِيهِ**

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٥ / ١٧٧٢).

الهُدَى) من الضلال: **(من اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ)**: أي أخطأ طريق السعادة وهلك في ميادين الحيرة والشقاوة، **(فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ)**: فإنه السبب الموصل إلى المقامات العلية والسعادة الأبدية **(وَأَهْلُ بَيْتِي)**: أي وثانيهما أهل بيته وهم من حرمت عليهم الصدقة من أقربائه،قال الحكيم: حض على التمسك بهم؛ لأن الأمر لهم معاينة فهم أبعد عن المحنة وهذا عام أريد به خاص، وهم العلماء العاملون منهم فخرج الجاهل، والفاسق، وهم بشر لم يعروا عن شهوات الآدميين ولا عصموا عصمة النبيين، وكما أن كتاب الله منه ناسخ ومنسوخ فارتفع الحكم بالمنسوخ هكذا ارتفعت القدرة بغير علمائهم الصلحاء، وحث على الوصية بهم لما علم مما سيصيبهم بعده من البلايا والرزايا. **(أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي)**: أي في الوصية بهم واحترامهم وكرره ثلاثا للتأكيد. قال الفخر الرازي: جعل الله تعالى أهل بيته مساوين له في خمسة أشياء: في المحبة، وتحريم الصدقة، والطهارة، والسلام والصلاة، ولم يقع ذلك لغيرهم»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الأحاديث:

١- الحض على التمسك بكتاب والاعتصام بحبله.

٢- القرآن عصمة ونجاة لمن تمسك به.

٣- فضيلة آل بيت النبي ﷺ، وأن لهم شرفا وفضلا على غيرهم، وأن حبهم من الإيمان.

٤- التمسك بمحبة آل بيت النبي ﷺ وتوقيرهم واحترامهم وعدم إيذائهم أو التعرض لهم بسوء.

٥- أن آل بيت النبي ﷺ هم زوجاته ومن كان مؤمنًا من قرابته، من آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس.

---

(١) «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، للمناوي (٢ / ١٦٠٨) باختصار.

٦- أن آل بيت النبي ﷺ تحرم عليهم الصدقة، لأنها أوساخ الناس.

٧- استحباب الوصية بخير.

٨- ضرب الأمثال لتقريب المعنى لذهن السامع.

فضيلة حفظ القرآن

الحديث الأول: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»(١).

قوله: (**وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ**): أي عن ظهر قلب.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولعل البخاري أشار بأحاديث هذا الباب إلى أن الماهر بالقرآن هو الحافظ له مع حسن الصوت به»(٢).

الحديث الثاني: وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «**جَمَعَ القُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، قُلْتُ لِأَنَسٍ: مَنْ أَبُو زَيْدٍ؟ قَالَ: أَحَدُ عُمُومَتِي**»(٣).

شرح الحديث الأول:

«قوله: (**مثل الذي**): بفتحتين أي: صفته كما في قوله تعالى: ﴿ **مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ** ﴾ [الرعد:٥٣]. قوله: (**وهو حافظ له**)، أي: القرآن والواو فيه للحال. قوله: (**مع السفرة**): ويروى مثل السفرة، وقال ابن التين: كأنه مع السفرة فيما يستحقه من الثواب.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤ / ٤٦٥٣) واللفظ له، ومسلم (٤ / ٧٩٨)، وأبو داود (١/ ١٤٥٤) وغيرهم.

(٢) «فتح الباري» (١٣ / ٥١٩) تعليق ابن باز.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥ / ٣٨١٠).

وقال الكرماني: لفظ مثل زائد وإلا فلا رابطة بينه وبين السفرة لأنها مبتدأ وخبر فيكون التقدير الذي يقرأ القرآن مع السفرة الكرام، أي: كائن معهم ويجوز أن يكون لفظ مثل بمعنى: مثيل، بمعنى: شبيه، فيكون التقدير: شبيه الذي يقرأ القرآن مع السفرة الكرام. قوله: **(وهو يتعاهده)**، أي: يضبطه ويتفقده. قوله: **(وهو عليه شديد)**، أي: والحال أن التعاهد عليه شديد. قوله: **(فله أجران)**: من حيث التلاوة ومن حيث المشقة قاله القرطبي. فإن قلت: ما معنى كون الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة. قلت: له معنيان أحدهما: أن يكون له منازل فيكون فيها رفيقا للملائكة لاتصافه بصفاتهم من حمل كتاب الله تعالى، والآخر: أن يكون المراد أنه عامل بعمل السفرة وسالك مسلكهم»[1].

شرح الحديث الثاني:

«قوله: **(أربعة)** أي: جمعه أربعة. قوله: **(أبي بن كعب)** أي: أحدهم أبي بن كعب، والثاني: معاذ بن جبل، والثالث: زيد بن ثابت والرابع: أبو زيد اسمه سعد بن عبيد الأوسي، وقيل: قيس بن السكن الخزرجي، وقيل: ثابت بن زيد الأشهلي، وليس في ظاهر الحديث ما يدل على الحصر لأن جماعة من الصحابة غيرهم قد جمعوا على ما تبينه الآن، وأنه لامفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه. والمراد بالجمع: **الأول:** أريد به الجمع بجميع وجوهه ولغاته وحروفه، وقراءاته التي أنزلها الله عَزَّوَجَلَّ. وأذن للأمة فيها وخيرها في القراءة بما شاءت منها. **الثاني:** أريد به الأخذ من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون واسطة. **الثالث:** أريد، به أن هؤلاء الأربعة ظهروا به وانتصبوا لتلقيته وتعليمه. **الرابع:** أريد به مرسومًا في مصحف أو صحف. **الخامس:** قاله أبو بكر بن العربي: أريد به أنه لم يجمع ما نسخ منه وزيد رسمه بعد تلاوته إلا هؤلاء الأربعة. **السادس:** قال الماوردي: أريد به أنه لم يذكره أحد عن نفسه سوى هؤلاء. **السابع:** أريد، به أن من سواهم ينطق بإكماله خوفا

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (١٩ / ٢٨٠).

من الرياء واحتياطا على النيات. وهؤلاء الأربعة أظهروه لأنهم كانوا آمنين على أنفسهم، أو لرأي اقتضى ذلك عندهم. **الثامن:** أريد بالجمع الكتابة فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظًا عن ظهر قلبه، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر القلب. **التاسع:** أن قصارى الأمر أن أنسا قال: جمع القرآن على عهده ﷺ أربعة، قد يكون المراد: أني لا أعلم سوى هؤلاء، ولا يلزمه أن يعلم كل الحافظين لكتاب الله تعالى. **العاشر:** أن معنى قوله: جمع أي: سمع له وأطاع. وعمل بموجبه»[(١)].

الغبطة لصاحب القرآن

الحديث الأول: عن الزُّهْرِيّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[(٢)].

الحديث الثاني: وروينا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ**»[(٣)].

شرح الحديث الأول:

«قوله: (**لا حسد**): أي لا غبطة، (**إلا على اثنين**) وقيل: لو كان الحسد جائزا لجاز عليهما (**رجل**): بالجر على البدلية، وقيل: بالرفع على تقدير هما أو منهما أو أحدهما، (**آتاه**

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (٢٠ / ٢٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤ / ٤٧٣٧)، ومسلم (١ / ٨١٥) واللفظ له، وابن ماجة (٢ / ٤٢٠٩)، وأحمد في مسنده (٢ / ٤٥٥٠)،وابن حبان (١/ ١٢٥)، والبيهقي (٤ / ٧٦١٥)..

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤ / ٤٧٣٨)، والبيهقي (٤ / ٧٦١٦).

الله القرآن): أي من عليه بحفظه له كما ينبغي، **(فهو يقوم به)**: أي بتلاوته وحفظ مبانيه أو بالتأمل في أحكامه ومعانيه أو بالعمل بأوامره ومناهيه أو يصلي به ويتحلى بآدابه، **(آناء الليل وآناء النهار)**: أي في ساعاتها جمع إنى بالكسر بوزن مِعَى وإنو وإني بسكون النون والمعنى: أنه لا يغفل عنه إلا في قليل من الأوقات، **(ورجل)**: بالوجهين، **(آتاه الله مالا)**: أي حلالًا، **(فهو ينفق)**: أي لله في وجوه الخير منه، **(آناء الليل وآناء النهار)**: أي في أوقاتها، **(سرًا وعلانية)**: ولعل هذه نكتة تقديم الليل في الموضعين، قال ميرك: الحسد قسمان حقيقي ومجازي، فالحقيقي تمني زوال النعمة عن صاحبها وهو حرام بإجماع المسلمين مع النصوص الصريحة، وأما المجازي فهو الغبطة وهي تمني مثل النعمة التي على الغير من غير تمني زوال عن صاحبها، أي الغبطة، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد في الحديث: لا غبطة محمودة إلا في هاتين الخصلتين، يعني فيهما وأمثالهما، ولذا قال المظهر: يعني لا ينبغي أن يتمنى الرجل أن يكون له مثل صاحب نعمة إلا أن تكون النعمة مما يتقرب به إلى الله - تعالى - كتلاوة القرآن والتصدق بالمال وغيرهما من الخيرات، يعني من العبادات البدنية والطاعات المالية»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الأحاديث:

١- فضيلة حفظ القرآن والقيام بحقه.

٢- الغبطة لصاحب القرآن.

٣- جواز الغبطة في الأمور المحمودة شرعًا.

٤- ذم الحسد، وهو تمني زوال النعمة.

٥- فضل قيام الليل.

٦- فضل الصدقة.

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ٢١١٣).

شرح الحديث الثاني: قلت: هو نفس معنى الأول إلا قوله: (فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ) وفي حديث آخر عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**»(١). والشاهد قوله: «فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ»: أي على إهلاكه. والمقصود أنه من كثرة إنفاقه أهلك ماله،أو كأنه يهلك ماله من كثرة الإنفاق، وهذا إذا لم يؤد إلى حرمان وارث، أو نحوه مما منع منه الشرع، كما في حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لاَ» فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: «لاَ»، ثُمَّ قَالَ: «**الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ** - أَوْ كَثِيرٌ - **إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ**»(٢).

وقوله: «فِي الحَقِّ»: أي في أوجه البر والخير والطاعات؛ لأن هناك من ينفق ماله في الشهوات والمحرمات.

قال الإمام بدر الدين العينى: «(فسلط على هلكته)، في هذه العبارة مبالغتان: **إحداهما:** التسليط فإنه يدل على الغلبة وقهر النفس المجبولة على الشح البالغ، **والأخرى:** لفظ: على هلكته، فإنه يدل على أنه لا يبقي من المال شيئًا، ولما أوهم اللفظان التبذير، وهو صرف المال فيما لا ينبغي، ولا سرف في الخير، ذكر قوله: (في الحق)، دفعا لذلك الوهم»(٣).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤ / ٤٧٣٧)، ومسلم (١ / ٨١٥) واللفظ له، وابن ماجة (٢ / ٤٢٠٩)، وأحمد في مسنده (٢ / ٤٥٥٠)،وابن حبان (١/ ١٢٥)، والبيهقي (٤ / ٧٦١٥)..

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢ / ١٢٩٥)، ومسلم (٣ / ١٦٢٨) ، وغيرهما.

(٣) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢/ ٥٨).

«قال بعض أهل العلم: إنفاق المال في حقه ينقسم ثلاثة أقسام: **فالأول:** أن ينفق على نفسه، وأهله، ومن تلزمه نفقته غير مقتر عما يجب لهم، ولا مسرف فى ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان:٦٧].

وهذه النفقة أفضل من الصدقة، ومن جميع النفقات، لقوله ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**»[(١)].

وقسم ثان: وهو أداء الزكاة، وإخراج حق الله تعالى لمن وجب له. وقد قيل: من أدى الزكاة فقد سقط عنه اسم البخل. **وقسم ثالث:** وهو صلة الأهل البعداء ومواساة الصديق، وإطعام الجائع، وصدقة التطوع كلها فهذه نفقة مندوب إليها مأجور عليها، لقوله ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**»[(٢)]. فمن أنفق فى هذه الوجوه الثلاثة فقد وضع المال فى موضعه، وأنفقه فى حقه، ووجب حسده، وكذلك من آتاه الله حكمته فعلمها فهو وارث منزلة النبوة، لأنه يموت ويبقى له أجر من علّمه، وعمل بعلمه إلى يوم القيامة، فينبغى لكل مؤمن أن يحسد من هذه حاله، والله يؤتى فضله من يشاء»[(٣)].

قلت: ويؤخذ من الأحاديث:

١- فضيلة حفظ القرآن والقيام بحقه.

٢- الغبطة لصاحب القرآن.

٣- جواز الغبطة في الأمور المحمودة شرعًا.

٤- ذم الحسد، وهو تمني زوال النعمة.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١ / ٥٦)، وغيره.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧ / ٥٣٥٣)، ومسلم (٤ / ٢٩٨٢)، وغيرهما.

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣/ ٤١٠).

٥- فضل الصدقة.

٦- جواز إهلاك المال في أمرور الطاعات والبر إذا لم يخش من ضياع حق وارث ونحوه.

٧- التحذير من إنفاق المال في الحرام.

٨- ذم البخل.

نزول السكينة والملائكة عند تلاوة القرآن

الحديث الأول: فقد روينا عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ البَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ**» قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا. قال: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟» قال: لا. قال: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ»[(١)].

الحديث الثاني: وعنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤ / ٤٧٣٠) واللفظ له، ومسلم (١ / ٧٩٦)، وأحمد في مسنده (٣/ ١١٧٨٣)، والنسائي (٥ / ٨٢٤٤).

يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرْآنِ**»[(١)].

شرح الحديث الأول:

«(**عن أسيد بن حضير**) بالتصغير فيهما، (**قال**): أي يحكي عن نفسه، (**بينما هو**): أي أسيد، (**يقرأ من الليل**): أي في بعض أجزاء الليل وساعاته، (**سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده**) وقيل: التأنيث في مربوطة على تأويل الدابة، وصوابه أن الفرس يقع على الذكر والأنثى كذا قاله الجوهري، والجملة الحالية (**إذ**): ظرف ليقرأ، (**جالت الفرس**): أي دارت وتحركت كالمضطرب المنزعج من مخوف نزل به، (**فسكت**): أي أسيد عن القراءة لينظر ما السبب في جولانها، (**فسكنت**): أي الفرس عن تلك الحركة فظن أن جولانها أمر اتفاقي، (**فقرأ فجالت فسكت**): أي كذلك، (**فسكنت**): فظن أنه لأمر، (**ثم قرأ**): أي ثم أراد أن يستظهر في أمره فتروى ثم قرأ، (**فجالت الفرس**): فعلم أن ذلك لأمر أزعجها عن قرارها، قيل: تحرك الفرس كان لنزول الملائكة لاستماع القرآن خوفا منهم وسكونها لعروجهم إلى السماء أو لعدم ظهورهم، أو تحرك الفرس لوجدان الذوق بالقراءة وسكونها لذهاب ذلك الذوق منها بترك القراءة، (**فانصرف**): أي أسيد من الصلاة أو من القراءة، (**وكان ابنه**): أي ابن أسيد، (**يحيى قريبًا منها**): أي من الفرس، (**فأشفق**): أي خاف أسيد، (**أن تصيبه**): أي الفرس ابنه في جولانها فذهب أسيد إلى ابنه ليؤخره عن الفرس، (**ولما أخره**): أي أسيد ابنه يحيى عن قرب الفرس، (**رفع رأسه إلى السماء فإذا**): هي للمفاجأة، (**مثل الظلة**): وهي الضم ما يقي الرجل من الشمس كالسحاب والسقف وغير ذلك، أي شيء مثل السحاب على رأسه بين السماء والأرض، (**فيها**): أي في الظلة، (**أمثال المصابيح**): أي أجسام لطيفة نورانية، (**فلما أصبح**): أي دخل أسيد في الصباح،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠١١)، ومسلم (١/ ٢٤٠)، وأحمد(١٨٥٩٠)

(**حدث النبي** ﷺ): أي حكاه بما رآه لفزعه منه (**فقال**): أي النبي ﷺ مزيلًا لفزعه ومعلمًا له بعلو مرتبته ومؤكدا له فيما يزيد في طمأنينته، (**اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير**): كرر مرتين لا ثلاثًا على ما في شرح ابن حجر للتأكيد، أي ردد وداوم على القراءة التي سبب لمثل تلك الحالة العجيبة إشعارًا بأنه لا يتركها إن وقع له ذلك بعد في المستقبل بل يستمر عليها استمتاعا بها، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: اقرأ لفظ أمر طلب للقراءة في الحال، ومعناه: تخصيص وطلب الاستزادة في الزمان الماضي، فكأنه استحضر تلك الحالة العجيبة الشأن فأمره تحريضا عليه. فكأنه قال: هلا زدت، ولذلك قال: (**فأشفقت**)، وفي نسخة: أشفقت (**يا رسول الله أن تطأ يحيى**): أي خفت إن دمت عليها أن تدوس الفرس ولدي يحيى، (**وكان منها قريبًا فانصرفت**): أي عن القراءة، (**إليه**): أي إلى يحيى ترحما عليه، (**ورفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح**): وهذا بحسب الظاهر تكرار ودفعه - والله أعلم - بأنه لما حكى له ﷺ صدر القضية وهو جولان الفرس حين القراءة فقال ﷺ: (**اقرأ**): أي كنت زدت في القراءة فذكر العذر في تركها، (**فخرجت**): أي من بيتي، (**حتى لا أراها**): أي المصابيح لغاية الفزع (**قال**)، أي النبي ﷺ: (**وتدري ما ذاك؟**): أي تعلم أي شيء ذاك المرئي (**قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت**): أي نزلت وقربت (**لصوتك**): أي بالقراءة، (**ولو قرأت**): أي إلى الصبح، (**لأصبحت**): أي الملائكة (**ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم**): أي لا تغيب ولا تخفى الملائكة من الناس، ووجه التشبيه المذكور أن الملائكة ازدحموا على سماع القرآن حتى صاروا كالشيء الساتر الحاجز بينه وبين السماء، وكأن تلك المصابيح هي وجوههم، ولا مانع من أن الأجسام النورانية إذا ازدحمت تكون كالظلة ولا من أن بعضها كالوجه أضوأ من بعض كذا حققه ابن حجر»[1].

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، لملا القاري (٤ / ٢١١٧).

قلت: ويؤخذ من الأحاديث:

١- نزول السكينة والملائكة لقراءة القرآن.

٢- جواز رؤية بني آدم الملائكة، لكن بشرط الصلاح وحسن الصوت[١].

٣- فضيلة أسيد بن حضير[٢].

٤- فضيلة قراءة سورة البقرة خاصة في صلاة الليل[٣].

٥- فضائل سور معينة من القرآن.

٦- حب استماع الملائكة للقرآن.

٧- تأثر المخلوقات بسماعها للقرآن، كما قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:٢١].

٨- إثبات كرامات الأولياء.

شرح الحديث الثاني:

«قال ابن بطال: (**والحصان**): الفحل من الخيل، (**والشطن**): الحبل، عن صاحب العين. واختلف أهل التأويل فى تفسير السكينة، فروى عن علىّ بن أبى طالب أنه قال: هى ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان. وروي عنه أنها ريح حجوج ولها رأسان. وقال مجاهد: السكينة لها رأس الهر وجناحان وذنب كذنب الهر. وعن ابن عباس والربيع: هى دابة مثل الهر، لعينها شعاع فإذا التقى الجمعان أخرجت يدها فنظرت إليهم فيهزم إليهم ذلك الجيش من الرعب. وعن ابن عباس والسدى: هى طست من ذهب من الجنة يغسل فيها قلوب الأنبياء. وعن أبى مالك: طست من ذهب ألقى موسى فيه التوراة

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (٢٠ / ٣٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

والألواح والعصا، وعن وهب: السكينة: روح من الله تتكلم إذا اختلفوا فى شىء بين لهم ما يريدون. وعن الضحاك: السكينة: الرحمة. وعن عطاء: السكينة: ما تعرفون من الآيات فتستكينون إليها. وهذ اختيار الطبرى. وتنزل السكينة لسماع القرآن يدل على خلاف قول السدى أنها طست من ذهب، ويشهد لصحة قول من قال: أنها روح أو شيء فيه روح، والله أعلم»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الأحاديث:

١- نزول السكينة والملائكة لقراءة القرآن.

٢- فضل الصحابة رضوان الله عليهم على من سواهم من الناس.

٣- فضائل سور معينة من القرآن.

٤- حب استماع الملائكة للقرآن.

٥- تأثر المخلوقات بسماعها للقرآن.

٦- إثبات كرامات الأولياء.

يؤم القوم أقرؤهم للقرآن

وروينا عن أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**»[(٢)].

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠ / ٢٤٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٦٧٣). و أبو داود (١/ ٥٨٢)، والترمذي (١/ ٢٣٥)، والنسائي (٢/ ٧٨٠) وغيرهم بألفاظ متغايرة.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحديث: فيه دليل لمن يقول بتقديم الأقرأ على الأفقه وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد وبعض أصحابنا، وقال مالك والشافعي وأصحابهما الأفقه مقدم على الأقرأ؛ لأن الذي يحتاج إليه من القراءة مضبوط والذي يحتاج إليه من الفقه غير مضبوط وقد يعرض في الصلاة أمر لا يقدر على مراعاة الصواب فيه إلا كامل الفقه، قالوا ولهذا قدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصلاة على الباقين مع أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نص على أن غيره أقرأ منه، وأجابوا عن الحديث بأن الأقرأ من الصحابة كان هو الأفقه، لكن في قوله: «**فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ**»، دليل على تقديم الأقرأ مطلقا، ولنا وجه اختاره جماعة من أصحابنا أن الأورع مقدم على الأفقه والأقرأ؛ لأن مقصود الإمامة يحصل من الأورع أكثر من غيره. قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً**» قال أصحابنا: يدخل فيه طائفتان، **إحداهما**: الذين يهاجرون اليوم من دار الكفر إلى دار الإسلام فإن الهجرة باقية إلى يوم القيامة عندنا وعند جمهور العلماء، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ**»[1]: أي لا هجرة من مكة لأنها صارت دار إسلام، أو لا هجرة فضلها كفضل الهجرة قبل الفتح، **الطائفة الثانية**: أولاد المهاجرين إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا استوى اثنان في الفقه والقراءة وأحدهما من أولاد من تقدمت هجرته والآخر من أولاد من تأخرت هجرته قدم الأول، قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا**»: وفي الرواية الأخرى سنا، وفي الرواية الأخرى فأكبرهم سنا، معناه إذا استويا في الفقه والقراءة والهجرة ورجح أحدهما بتقدم إسلامه أو بكبر سنه قدم لأنها فضيلة يرجح بها، قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ**»: معناه أن صاحب البيت والمجلس وإمام المسجد أحق من غيره وإن كان ذلك الغير أفقه وأقرأ وأورع وأفضل

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤ / ٢٧٨٣)، ومسلم (٥ / ١٧٣)، وغيرهما.

منه، وصاحب المكان أحق فإن شاء تقدم وإن شاء قدم من يريده، وإن كان ذلك الذي يقدمه مفضولا بالنسبة إلى باقي الحاضرين؛ لأنه سلطانه فيتصرف فيه كيف شاء، قال أصحابنا: فإن حضر السلطان أو نائبه قدم على صاحب البيت وإمام المسجد وغيرهما؛ لأن ولايته وسلطته عامة، قالوا ويستحب لصاحب البيت أن يأذن لمن هو أفضل منه قوله ﷺ: «وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ»: التكرمة: الفراش ونحوه مما يبسط لصاحب المنزل ويخص به»[1].

قلت: ويؤخذ من الأحاديث:

١- فضل القرآن وأهله.

٢- رفعة صاحب القرآن وعلو مكانته.

٣- تقديم القارئ على الفقيه وغيره إن لم يَسْتَوُوا في القراءة.

٤- فضيلة حفظ القرآن الكريم وإتقان قراءته.

٥- فضيلة السنة النبوية وتعلمها.

٦- فضيلة الهجرة.

٧- فضيلة السبق إلى الإسلام.

٨- توقير الكبير في السن.

٩- عدم التقدم على الرجل في بيته بإمامة ونحوها إلا بإذنه، ويدخل في ذلك إمام المسجد، وكل سلطان في سلطانه.

١٠- فضيلة الاستئذان.

---

(١) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٤ / ٢٧٨٣) باختصار.

obeikandl.com

رفعة صاحب القرآن وعلو مكانته

الحديث الأول: عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(١).

الحديث الثاني: وقد زوج النبي ﷺ رجلًا لا على مال أو جاه وإنما بما معه من القرآن.

فقد روينا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ مْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّهَا قَدْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لله وَلِرَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ**» فَقَالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيهَا؟ قال: «**أَعْطِهَا ثَوْبًا**» قَالَ: لاَ أَجِدُ، قَالَ: «**أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**» فَاعْتَلَّ لَهُ، فَقَالَ: «**مَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟**» قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «**فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»(٢).

«**(فَاعْتَلَّ لَهُ)**: حزن وتضجر من أجله أو تعلل أنه لم يجده»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١ / ٨١٧)،وابن ماجة (١ / ٢١٨)،وأحمد في مسنده (١ / ٢٣٢)، وابن حبان (٣ / ٧٧٢)، والبيهقي (٣ / ٤٩٠٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥/ ٤٧٩٩) واللفظ له، ومسلم (٢ / ١٤٢٥)، وأبو داود (١ / ٢١١١) والترمذي (٣ / ١١١٤)، وابن ماجة (١ / ١٨٨٩) وأحمد في مسنده (٥ / ٢٢٨٥٠)، وابن حبان (٩ / ٤٠٩٣)، والبيهقي (٧ / ١٣١٤١).

(٣) تعليق مصطفى البغا (٦ / ١٩٢).

«وقد ظهر بهذا الحديث فضل القرآن على صاحبه في الدين والدنيا، ينفعه في دينه بما فيه من المواعظ والآيات، وينفعه في دنياه، لأنه قام له مقام المال الذي يتوصل به إلى النكاح وغيره من المقاصد»(١).

شرح الحديث الأول:

«(**إن الله يرفع بهذا الكتاب**): أي بالإيمان به وتعظيم شأنه والعمل به، والمراد بالكتاب القرآن البالغ في الشرف وظهور البرهان مبلغًا، لم يبلغه غيره من الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة. قال الطيبي: أطلق الكتب على القرآن ليثبت له الكمال، لأن اسم الجنس إذا أطلق على فرد من أفراده يكون محمولًا على كماله. وبلوغة إلى حد هو الجنس كله كأن غيره ليس منه، (**أقوامًا**): أي درجة أقوام ويكرمهم في الدارين بأن يحييهم حياة طيبة في الدنيا، ويجعلهم من الذين أنعم الله عليهم في العقبى،(**ويضع**): أي يذل (**به**): أي بالإعراض عنه وترك العمل بمقتضاه، (**آخرين**): وهم من لم يؤمن به أو من آمن به ولم يعمل به، قال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦].وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨٢]، قال الطيبي: فمن قرأه وعمل بمقتضاه مخلصًا رفعه الله، ومن قرأه مرائيًا غير عامل به وضعه الله أسفل السافلين، وقول عمر: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»: المعنى إن هذا الأمير رفعه الله عَزَّ وَجَلَّ على هؤلاء المؤمّر عليهم. وقال بعضهم: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يرفع من عمل بالعلم ويضع من لم يعمل به، والعلم من حيث أنه علم لا يضع»(٢).

---

(١) المتواري على تراجم أبواب البخاري، للشيخ أحمد بن محمد الجذامي الجروي الإسكندراني (١/ ٣٩٣).

(٢) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢١٣٦) باختصار.

قلت: ويؤخذ من الأحاديث:

١- فضل القرآن وأهله.

٢- رفعة صاحب القرآن وعلو مكانته في الدنيا والآخرة إذا عمل به وأخلص لله.

٣- أن الله يذل من أعرض عن كتابه، وإن كان شريفا في قومه.

٤- توقير وإكرام العالم والحامل لكتاب الله.

٥- فضل تعلم العلم الشرعي.

شرح الحديث الثاني:

قوله: (**فَاعْتَلَّ لَهُ**): فاعتل له ومعنى قوله فاعتل له أي اعتذر بعدم وجدانه كما دلت عليه روايات أخرى. قوله: سورة (**كَذَا وَكَذَا**): وعرف بهذا المراد بالمعية وأن معناها الحفظ عن ظهر قلبه. قوله: (**على ما معك**) أي على تعليمها كما يدل عليه بعض الروايات[(١)].

ويؤخذ من الأحاديث:

١- جواز عقد النكاح بلفظ الهبة، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه والثوري والحسن بن حي. وصورته أن يقول الرجل: قد وهبت لك ابنتي، فيقول الآخر: قبلت أو تزوجت، وسواء في ذلك سميا المهر أو لا فإن سمياه فلها المسمى وإلا فلها مهر مثلها. وقال الشافعي: لا ينعقد بلفظ الهبة[(٢)].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٩ / ٢٠٨) وحاشية السندي على سنن ابن ماجة (١ / ١٨٨٩) بتصرف.

(٢) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٠ / ٤٤).

٢- جواز هبة المرأة نفسها للنبي ﷺ، وهو من خصائصه لقوله عزوجل: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وقال ابن القاسم عن مالك: لا تحل الهبة لأحد بعد النبي ﷺ (١).

٣- جواز النكاح بما تراضى عليه الزوجان: كالسوط والنعل، وإن كانت قيمته أقل من درهم (٢).

٤- جواز اتخاذ خاتم الحديد. واختلف العلماء في جواز لبسه (٣).

٥- جواز التزويج على سورة من القرآن وعليه أن يعلمها (٤).

٦- أن منافع الحر قد يجوز أن يكون صداقًا كأعيان الأموال ويدخل فيه الإجارة وما كان في معناها من خياطة ثوب ونقل متاع ونحو ذلك من الأمور (٥).

٧- جواز الأجرة على تعليم القرآن (٦).

٨- أن المكافأة إنما هي في حق الدين والحرية دون النسب والمال (٧).

٩- لا حد لأقل المهر (٨).

٩- فيه جواز عرض المرأة نفسها، أو الرجل ابنته، على رجل من أهل الخير والصلاح (٩).

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) «معالم السنن»، وهو شرح سنن أبي داود(٣ / ٢١١). (٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.
(٨) المصدر السابق.
(٩) «تيسير العلام شرح عمدة الأحكام» للشيخ آل بسلم (ص: ٥٩٤).

١٠- ولاية الإمام على المرأة التي ليس لها ولي من أقربائها[١].

١١- في الحديث حسن خلقه ولطفه ﷺ، إذ لم يردها حين لم يرغب فيها، بل سكت حتى طلبها منه بعض أصحابه[٢].

١٢- دليل على طلب الصداق في النكاح وتسميته فيه[٣].

١٣- فيه جواز نظر الرجل إلى المرأة التي يريد أن يتزوجها ولو بغير إذنها.

١٤- رفعة صاحب القرآن وعلو مكانته.

صاحب القرآن يلبس تاج الكرامة يوم القيامة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ، وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً**»[٤].

«قوله (**عن عاصم**) بن بهدلة وهو بن أبي النجود قوله (**يا رب حله**) الظاهر أنه أمر من التحلية يقال حليته أحليه تحلية إذا ألبسته الحلية والمعنى يا رب زينه (**اقرأ**) أمر من القراءة أي اتل (**وارق**) أمر من رقأ يرقا رقا أي اصعد.

قال في القاموس: رقأ في الدرجة: صعد وهي المرقأة وتكسر: أي يقال لصاحب القرآن اقرأ القرآن واصعد على درجات الجنة»[٥].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) «إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد (٢/ ٣١٦).

(٤) حسن: أخرجه الترمذي(٥/ ٢٩١٥)، سنن الدارمي (٤ / ٣٣٥٤)، والمستدرك (١ / ٢٠٢٩). وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٨٠٣٠).

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي(٨/ ١٨٤).

قال ابن الأثير: «التِّيجَان جَمْعُ تَاج: وَهُوَ مَا يُصاغ لِلْمُلُوكِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوْهَرِ. وَقَدْ تَوَّجْتَهُ إِذَا أَلْبَسْتَه التَّاج»[(١)].

ملاحظة: قلت: ادعت الجهمية والمعتزلة أن القرآن مخلوق من هذا الحديث وأمثاله. وهو غلط كبير وجهل عظيم، فالمقصود بمجيء القرآن: أي ثواب القرآن. لأن الأعمال لا تأتي، إنما يأتي ثوابها. فعندما نقول: تأتي الصلاة، والزكاة، والحج، وسائر العبادات: أي ثوابها. وكذلك الأعمال السيئة يأتي عقابها، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ [الزلزلة: ٦] أي جزاء أعمالهم إما إلى الجنة وإما إلى النار، فإنه يقرأ في كتابه أعماله الصالحة والطالحة، قال تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:١٤]، فيرى أعماله مكتوبة في كتابه فيرى خيرها وشرها.

أما في مجيء الأعمال: فالمقصود حسن ثوابها، وسوء عقابها. كما في حديث القبر من أن الإنسان «**يأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح، فيقول له: أبشر بالذي يسرك، وهذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح**»[(٢)] والكافر عكس ذلك. فالمقصود أيضًا أن ثواب العمل وجزاءه يتمثل له إما في صورة حسنة إذا كان العمل سيئا، أو في صورة سيئة إن كان العمل سيئًا.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١ / ١٩٩) باختصار.

(٢) صحيح: الزهد لابن المبارك (١٢١٩)، وأحمد (٢٠ / ٥٠١)، والمستدرك (١ / ١٠٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٦٧٦).

قال إمام أهل السنة والجماعة - الإمام أحمد بن حنبل - رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنى أن القرآن يجيء: إنما يجيء ثواب القرآن»[(١)].

وقال الإمام ابن بطة العبكري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يجيء القرآن وتجيء البقرة وتجيء الصلاة ويجيء الصيام، يجيء ثواب ذلك كله، وكل هذا مبين في الكتاب والسنة. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، فظاهر اللفظ من هذا أنه يرى الخير والشر، ليس يرى الخير والشر، وإنما ثوابهما والجزاء عليهما من الثواب والعقاب. كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وليس يعني أنها تلك الأعمال التي عملتها بهيئتها وكما عملتها من الشر، وإنما تجد الجزاء على ذلك من الثواب والعقاب. كما قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، فيجوز في الكلام أن يقال: يجيء القرآن، تجيء الصلاة، وتجيء الزكاة، يجيء الصبر، يجيء الشكر، وإنما يجيء ثواب ذلك كله،يجزى من عمل السيئ بالسوء، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨]، أفترى يرى السرقة والزنا وشرب الخمر وسائر أعمال المعاصي إنما يرى العقاب والعذاب عليها»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- شفاعة القرآن لأهله يوم القيامة.

٢- فضيلة أهل القرآن.

٣- المقصود مجيء القرآن والأعمال: أي يجيء ثوابها، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

٤- صاحب القرآن يقرأ ويرتقي في درجات الجنة.

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٦٨).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٦/ ١٩٣).

٥- أن الجنة درجات ومنازل.

٦- صاحب القرآن العامل به، يلبس تاج الكرامة، ويحلى بحلة الكرامة.

٧- مكانة صاحب القرآن وعلو منزلته.

٨- الحث على أخذ القرآن وتعلمه والعمل به.

٩- إثبات الشفاعة.

صاحب القرآن يحلى والداه تاج الوقار يوم القيامة

عن عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «.... **وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ. فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ فَيُعْطَى الْمُلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيلًا**»[(١)].

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: (**كالرجل الشاحب**): هو المتغير اللون والجسم لعارض من العوارض كمرض، أو سفر ونحوها، وكأنه يجيء على هذه الهيئة ليكون أشبه بصاحبه في الدنيا، أو للتنبيه له على أنه كما تغير لونه في الدنيا لأجل القيام بالقرآن، كذلك القرآن لأجله في السعي يوم القيامة حتى ينال صاحبه الغاية القصوى في الآخرة»[(٢)].

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٣٨/ ٤٢)، سنن الدارمي (٤ / ٣٤٣٤) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٤٣٤).

(٢) شرح سنن ابن ماجة (١/ ٣٧٨١).

«والهذُّ: من هذّ، يقال: هذّه بالسَّيْف هذًّا: إذا قطعه والهَذُّ: سرعةُ القَطْعِ، وسُرْعةُ القراءة»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضل القرآن.

٢- فضيلة صاحب القرآن.

٣- الوالد يحصل له نفع وثواب بعمل ولده[(٢)].

٤- الحث على أخذ القرآن وتعلمه والعمل به.

٥- مكانة صاحب القرآن وعلو منزلته.

٦- المقصود مجيء القرآن كالرجل الشاحب: أي ثوابه، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

٧- صاحب القرآن يلبس يوم القيامة تاج الوقار.

٨- صاحب القرآن يكسى والداه يوم القيامة حُلَّتَيْن لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا.

٩- حث الآباء على تعليم أبنائهم القرآن.

١٠- إثبات الشفاعة.

١١- صاحب القرآن يقرأ ويرتقي في درجات الجنة.

١٢- أن الجنة درجات ومنازل.

---

(١) كتاب «العين» للخليل ابن أحمد الفراهيدي (٣/ ٣٤٩).

(٢) «جامع المسائل» لابن تيمية (٤/ ٢٧٣).

obeikandl.com

فضل استماع القرآن الكريم

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ؟ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، فقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١] رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ»(١).

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى استماعه القرآن من غيره والله أعلم ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون كي يتدبره ويفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط من نفس القارئ؛ لأنه في شغل بالقراءة وأحكامها. فإن قيل: فقد يجوز أن يكون سماعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقرآن من غيره كما قلت، فما وجه قراءته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن على أبيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد ذكره البخاري في فضائل الصحابة في فضائل أبيّ. قيل: يحتمل أن يكون وجه ذلك ليتلقنه أبيٌّ من فيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يتخالجه شك في اختلاف القراءات بعده، وذلك أنه خاف عليه الفتنة في هذا الباب؛ لأنه لا يجوز أن يكون أحد أقرأ للقرآن من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أوعى له وأعلم به؛ لأنه ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٣ - ١٩٥]، قاله الخطابي، وقال أبو بكر بن الطيب نحوه، قال: قرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أبيّ وهو أعلم بالقرآن منه وأحفظ؛ ليأخذ أبيّ نمط قراءته وسنته ويحتذي حذوه. وقد روى هذا التأويل عن أبيّ وابنه»(٢).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٨٠٠).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠/ ٢٧٧).

ويؤخذ من الحديث[١]:

١- استحباب استماع القراءة والإصغاء لها.

٢- استحباب البكاء عند القراءة وتدبرها.

٣- استحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه.

٤- تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم.

فضل نزول القرآن على سبعة أحرف

عن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ الله ﷺ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلاَةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ**، فَقَرَأَ عَلَيْهِ القِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ: **اقْرَأْ يَا عُمَرُ**، فَقَرَأْتُ القِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**»[٢].

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (٦/ ٨٨). بتصرف.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٩٢) واللفظ له، ومسلم (١/ ٨١٨)، وأبو داود (٢ / ١٤٧٥) والترمذي (٥ / ٢٩٤٣)، والنسائي (٢ / ٩٣٦).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى: «أُسَاوِرُهُ»: أواثبه، من سُورَة الْغَضَب. (فَتَصَبَّرْتُ): أي تكلفت الصبر حتى سلم أي فرغ من صلاته.

وَقوله: فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ: جررته. اللبب: مَوضِع النَّحْر. وَأَرَادَ: جررته بالرداء المُتَعَلّق بنحره.

أو: جمعت رداءه عند عنقه وجررت به.

وَقوله: «إِن هَذَا الْقُرْآن أنزل على سَبْعَة أحرف».

وَاخْتلف الْعلمَاء فِي المُرَاد بِهَذَا على خَمْسَة وَثَلَاثِينَ قولا، حَكَاهَا أَبُو حَاتِم بن حبَان الْحَافِظ. غير أَن جمهورها لَا يخْتَار، وَالَّذِي نختاره أَن المُرَاد بالحرف اللُّغَة، فالقرآن أنزل على سبع لُغَات فصيحة من لُغَات الْعَرَب، فبعضه بلغَة هُذَيْل، وَبَعضه بلغَة هوَازن، وَغَيرهم من الفصحاء»[(١)].

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا»[(٢)].

---

(١) كشف المشكل لابن الجوزي، (١ / ٨٠). بتصرف

(٢) صحيح: أخرجه مسلم(١/ ٨٢١)، وأبو داود (٢ / ١٤٧٨) وابن ماجة (١ / ١٣٩٩)، والنسائي (٢ / ٩٣٩).

«(وأَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ): هي بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغير همز وآخره تاء تأنيث هو مستنقع الماء كالغدير وجمعه أضاكعصا وقيل بالمد والهمزة مثل إناء وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بني غفار بكسر المعجمة وتخفيف الفاء لأنهم نزلوا عنده وحاصل ما ذهب إليه هؤلاء أن معنى قوله أنزل القرآن على سبعة أحرف أي أنزل موسعا على القارئ أن يقرأه على سبعة أوجه أي يقرأ بأي حرف أراد منها على البدل من صاحبه كأنه قال أنزل على هذا الشرط أو على هذه التوسعة وذلك لتسهيل قراءته إذ لو أخذوا بأن يقرءوه على حرف واحد لشق عليهم»[(١)].

وقد ذكر الإمام أبو الفضل الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأحرف السبعة تدور على سبعة أشياء، واختاره الشيخ القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهِيَ[(٢)]:

١- اخْتِلَافُ الْأَسْمَاءِ فِي الْإِفْرَادِ وَالتَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فَقُرِئَ ﴿مِسْكِينٍ﴾ بِالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ.

٢- اخْتِلَافُ تَصْرِيفِ الْأَفْعَالِ، مِنْ مَاضٍ وَمُضَارِعٍ وَأَمْرٍ، نَحْوُ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة:١٥٨] فَقُرِئَ ﴿تَطَوَّعَ﴾ عَلَى أَنَّهُ فِعْلٌ مَاضٍ، وَقُرِئَ ﴿يَطَّوَّعْ﴾ عَلَى أَنَّهُ مُضَارِعٌ.

٣- اخْتِلَافُ وُجُوهِ الْإِعْرَابِ، نَحْوُ: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩]، فَقُرِئَ بِضَمِّ التَّاءِ وَرَفْعِ اللَّامِ، عَلَى أَنَّ (لَا) نَافِيَةٌ، وَقُرِئَ بِفَتْحِ التَّاءِ وَجَزْمِ اللَّامِ عَلَى أَنَّ (لَا) نَاهِيَةٌ.

٤- الِاخْتِلَافُ بِالنَّقْصِ وَالزِّيَادَةِ، نَحْوُ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، قُرِئَتْ بِحَذْفِ الْوَاوِ وَبِإِثْبَاتِهَا.

---

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، لابن حجر (٩ / ٢٨).

(٢) راجع كتاب: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١ / ١٦٦)، وكتاب:الوافي شرح الشاطبية. (ص: ٥-٦) بتصرف.

٥- الاخْتِلَافُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، نَحْوُ: ﴿وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٩٥]، قُرِئَتْ بِتَقْدِيمِ ﴿وَقَتَلُوا﴾ وَقُرِئَ بِتَأْخِيرِهَا.

٦- الإِخْتِلَافُ بِالْإِبْدَالِ، نَحْوُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧]، قُرِئَتْ بِالْوَاوِ وقُرِئَتْ بِالْفَاءِ ﴿فتوكّل﴾.

٧- الإِخْتِلَافُ فِي اللَّهَجَاتِ: كَالْفَتْحِ وَالْإِمَالَةِ وَالْإِظْهَارِ وَالْإِدْغَامِ وَالتَّسْهِيلِ وَالتَّحْقِيقِ. وَهَكَذَا.

وأما الحكمةُ من إنزالِ القرآنِ الكريمِ بالأحرفِ السبعةِ:

«تتلخص الحكمة في إنزال القرآن الكريم على الأحرف السبعة في أن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ألسنتهم مختلفة، ولهجاتهم متباينة، ويتعذر على الواحد منهم أن ينتقل من لهجته التي نشأ عليها، وتعوَّد لسانه التخاطب بها، فصارت طبيعة من طبائعه، وسَجِيَّةً من سجاياه، بحيث لا يمكنه العدول عنها إلى غيرها، فلو كلَّفهم الله تعالى مخالفة لهجاتهم لشَقَّ عليهم ذلك، وأصبح من قبيل التكليف بما لا يطاق، فاقتضت رحمته تعالى بهذه الأُمَّة أن يخفف وييسِّر عليها حفظ كتابها وتلاوة دستورها كما يَسَّر لها أمر دينها، فأذِنَ لنبيه أن يُقْرِئَ أمته القرآن على سبعة أحرف فكان ﷺ يُقْرِئ كل قبيلة بما يوافق لغتها ويلائم لسانها.

ولعل من الحكمة أيضًا أن يكون ذلك معجزة للنبي على صدق رسالته حيث ينطق ﷺ القرآن الكريم بهذه الأحرف السبعة، وتلك اللهجات المتعددة وهو النبي الأمي الذي لا يعرف سوى لهجة قريش»[1].

(١) «غاية المريد»، للشيخ عطية قابل نصر. (ص:٢٨)

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده؛ بل قد يكون معناها متفقًا أو متقاربًا كما قال عبد الله بن مسعود: إنما هو كقول أحدكم أقبل وهلم وتعال. وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر؛ لكن كلا المعنيين حق وهذا اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض»[(١)].

قلت: ومن حكم إنزال القرآن على سبعة أحرف:

١- التيسير على الأمة: حيث لكل قبيلة من العرب لسانها الخاص فيتعذر عليها أن تقرأ بلسان غيرها، فنزل القرآن على لهجاتهم تيسيرًا لحفظه وتلاوته.

٢- الإعجاز: لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمي ونشأ في قريش فمن أين أتى بهذه اللهجات العربية الأخرى، وهذا إن دل فإنما يدل على أنه وحي من عند الله.

٣- التحدي: فالقرآن نزل بلهجات العرب ولم ينزل بلهجة قريش خاصة حتى لا تقول قبيلة لو نزل بلغتنا لتحديناه، فتكون الحجة قائمة عليهم جميعًا.

٤- تعدد استنباط الأحكام الشرعية، في نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بنصب اللام، والباقون بكسرها. فعلى قراءة النصب تكون معطوفة على المنصوبات قبلها، والمعنى: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم، واغسلوا أيديكم إلى المرافق، واغسلوا أرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤسكم. وعلة إدخال المسح بين المغسولات: المحافظة على الترتيب.

---

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٣/ ٣٩١).

وعلى قراءة الخفض تكون معطوفة على المسح،والمراد بالمسح هنا ما جاء في السنة من المسح على الخفين، أفادته هذه القراءة.

٥- تنوع وجوه البلاغة والإعراب: فمن ناحية البلاغة:

«قراءة حمزة ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧] حيث ورد الفعل ﴿أُخْفِىَ﴾ مستقبلًا، وربنا أ يخبر بهذا الفعل عن نفسه، وقرأ باقي القراء بالفعل الماضي المبني للمجهول ﴿أُخْفِىَ لَهُم﴾. يلاحظ البلاغيون أن الفعل المضارع ينطوي على حياة ورونق، فهو من ناحية يُشْعِر بالحركة المتجددة من صنوف النعيم المخبوء، ففي كل يوم من أيام القيامة يكشف الله أعن خفاء، وما يكشفه اليوم غيرُ ما يكشفه غدًا، وتبقى النفس المؤمنة تطمع في المزيد؛ لتُرْوِيَ غليلها، بما يخفيه لها ربُّها أ من أطايبَ ونفائس، فتقَرَّ عينُها بذلك المَخْفيّ المتجدد المستمر في عطائه الجزيل، ومن ناحية ثانية يحقق الفعل المضارع ﴿أُخْفِىَ﴾ انسجامًا مع الفعل المضارع الذي قبله، المتصل به، وذلك لأن قراءة حمزة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيْ لَهُمْ﴾ فيكون ثمة توافق بين المضارع الأول ﴿يُنفِقُونَ﴾، والمضارع الثاني ﴿أُخْفِىَ﴾، كما يكون ثمة جزاء مستمر متجدد في نسيج المضارع ذي الفعل الربَّاني ﴿أُخْفِىَ﴾ في مقابل المضارع ذي الفعل البشري ﴿يُنفِقُونَ﴾.

ومن ناحية ثالثة: يقوي إخبار الله تعالى عن نفسه، أن قبله إخبارًا عنه سبحانه في قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣]، وفي قوله: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾ [السجدة: ١٤]، وفي قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [السجدة:١٥] فكلُّ هذا إخبارٌ من الله عن نفسه فجرى ما بعده عليه»[(١)].

(١) «الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة»، أ. د. أحمد الخراط (ص: ٣١٩).

ومن ناحية الإعراب:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]. قرأ حفص ﴿مَعْذِرَةً﴾ بنصب التاء وقرأ الباقون برفعها. فعلى وجه النصب تكون مفعولا به، وعلى وجه الرفع تكون خبرا لمبتدء محذوف تقديره (هذه).

٦- **تأليف قلوب العرب**، حتى لا تفتخر قبيلة على أخرى وتقول نزل القرآن بلغتنا.

٧- **توحيد لغات العرب**. وهذا يقتضي توحيد العرب حيث كانوا قبائل متناحرة.

٨- **الأحرف السبعة خصيصة لأمة محمد ﷺ دون غيرها من الأمم.**

٩- **الأحرف السبعة ميزة للقرآن على الكتب السماوية.**

١٠- **استيفاء شرط نجاح الدعوة ونشرها**. باستمالة قلوبهم إلى هذا القرآن الذي نزل بلغاتهم.

١١- **الدلالة على صيانة كتاب الله وحفظه من التبديل والتحريف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة**. وهو دليل على أمانة النقلة أيضًا.

obeikandl.com

المبحث الرابع
فضائل سور مخصوصة من القرآن

معنى السورة والآية:

«تسمى كل سورة من سور القرآن: سورة، وتجمع سُوَرًا، على تقدير: خُطبة وخُطب، وغُرفة وغُرَف.

والسورة، بغير همز: المنزلة من منازل الارتفاع. ومن ذلك سُور المدينة، سمي بذلك الحائطُ الذي يحويها، لارتفاعه على ما يحويه. غير أن السُّورة من سُور المدينة لم يسمع في جمعها سُوَر، كما سمع في جمع سورة من القرآن سور. قال العجاج في جمع السُّورة من البناء:

فـرُبَّ ذِي سُـــرَادِقٍ مَحْـجُـورِ سُـرْتُ إلـيـه في أعـالـي الـسُّـورِ

فخرَج تقدير جمعها على تقدير جَمع بُرّة وبُسْرة، لأن ذلك يجمع بُرًّا وبُسرًا. وكذلك لم يسمع في جمع سورة من القرآن سُوْرٌ، ولو جمعت كذلك لم يكن خطأ في القياس، إذا أريد به جميعُ القرآن. وإنما تركوا -فيما نرى- جمعه كذلك، لأن كل جمع كان بلفظ جِماعَه يجري مجرى الواحد من الأشياء غيره. لأن حكم الواحد منه منفردًا قلَّما يُصاب، فجرى جماعه مجرى من الأشياء غيره، ثم جُعلت الواحدة منه كالقطعة من جميعه، فقيل: بُرَّة وشعيرة وقصبة، يراد به قطعة منه. ولم تكن سور القرآن موجودةً مجتمعةً اجتماعَ البرّ والشعير وسور المدينة، بل كلّ سورة منها موجودةٌ منفردة بنفسها، انفرادَ كل غُرْفة من الغُرف وخُطبة من الخطب، فجُعِل جمعُها جمع الغُرَف والخطب، المبنيِّ جمعها من واحدها.

ومن الدلالة على أنّ معنى السورة: المنزلةُ من الارتفاع، قول نابغة بني ذُبيان:

أَلَمْ تَـرَ أنَّ الله أعـطـاكَ سُـورَةً تَـرَى كلَّ مَـلْـكٍ دُونَـهـا يَـتَـذَبْـذَبُ

يعني بذلك: أنّ الله أعطاه منزلة من منازل الشرف التي قصّرت عنها منازلُ الملوك.

وقد همز بعضهم السورةَ من القرآن. وتأويلُها، في لغة من همَزها، القطعةُ التي قد أفضِلت من القرآن عما سواها وأبقيت. وذلك أن سؤر كل شيء: البقية منه تَبقى بعدَ الذي يُؤخذ منه، ولذلك سميت الفضْلة من شراب الرجل -يشرَبُه ثم يُفضلها فيبقيها في الإناء- سُؤْرًا. ومن ذلك قول أعشى بني ثعلبة، يصف امرأةً فارقته فأبقت في قلبه من وجْدِها بقية:

فبَانَتْ، وقد أَسْأَرَتْ في الفُؤادِ صَدْعًا، على نَأيِهَا، مُسْتَطِيرا

وقال الأعشى في مثل ذلك:

بَانَتْ،وقد أَسْأَرَت في النَّفس حَاجتَهَا، بعدَ ائتِلاف وخيرُ الوُدِّ ما نَفَعَا

وأما الآية من آي القرآن، فإنها تحتمل وجهين في كلام العرب:

أحدهُما- أن تكون سمِّيت آية، لأنها علامةٌ يُعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها، كالآية التي تكون دلالةً على الشيء يُستدلُّ بها عليه، كقول الشاعر:

أَلِكْنِى إليها، عَمْرَك اللهُ يا فَتَى، بآيَةِ ما جَاءتْ إلينا تَهَادِيَا

يعني: بعلامة ذلك. ومنه قوله جل ذكرُه: ﴿رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤]، أي: علامةً منك لإجابتك دُعاءنا وإعطائك إيّانا سُؤلَنا.

والآخر منهما- القصةُ، كما قال كعب بن زهير بن أبي سُلمى:

ألا أبْلغا هذا المُعَرِّض آيَةً: أَيَقْظانَ قالَ القولَ إذْ قَالَ، أمْ حَلَم

يعني بقوله آية: رسالةً منّي وخبرًا عني.

فيكون معنى الآيات: القصص، قصةٌ تتلو قصةً، بفُصُول ووُصُول»[١].

(١) «جامع البيان» للطبري (١/ ١٠٦).

فضل فاتحة الكتاب

الحديث الأول: عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ثُمَّ قَالَ لِي: **لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ.** ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، **هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[(١)].

شرح الحديث:

«أنه بينما كان أبو سعيد بن المعلى يصلي في مسجد رسول الله ﷺ ناداه النبي ﷺ أثناء الصلاة، فلم يجبه، فلما انتهى من صلاته لامه ﷺ، وسأله: أي شيء منعك عن الإجابة، فاعتذر للنبي ﷺ أنه كان في صلاة، والمصلي لا يتكلم في صلاته، فقال له ﷺ: ألم تعلم أن إجابة النبي ﷺ واجبة، لأن الله أمر بإجابته في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ ومعنى تعليمه إياها أنه يخبره بأنها سورة كذا، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة... إلخ، أي فلما أراد الخروج ذكّرته بالوعد الذي وعدني به، قال: (**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**): يعني أن السورة التي هي أفضل سور القرآن وأعظمها شأنًا، هي سورة الفاتحة، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم: أي وهي السورة العظيمة التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، فسماها بالسبع المثاني، لأنها

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٧٤).

سبع آيات تتكرر قراءتها في كل ركعة وفي كل صلاة، وسماها بالقرآن العظيم، لاشتمالها على وجازتها وقلة ألفاظها على أهم مقاصد القرآن الكريم من إثبات التوحيد، والنبوة، والمعاد، والعبادة المتضمنة لأركان الإسلام»[١].

«(السَّبْعُ المَثَاني): سميت بالمثاني لأنها تثنى في كل ركعة، قاله ابن الأنباري. وقيل: لأنها مما أثني به على الله عَزَّوَجَلَّ، ذكره الزجاج، قال: و «من «هاهنا للصفة، فيكون السبع هي المثاني، كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]»[٢].

ويؤخذ من الحديث[٣]:

١- وجوب إجابة الرسول وطاعته ﷺ في جميع الأحوال حتى في الصلاة ولا تبطل صلاته عند بعض الشافعية وبعض المالكية؛ لأن إجابته ﷺ في الصلاة حكم استثنائي خاص به.

٢- أن للفاتحة أسماء كثيرة فمن أسمائها السبع المثاني والقرآن العظيم، وسورة الحمد، والشكر، والشافية، والراقية، والصلاة، وأم القرآن وغيرها.

٣- أن هذه السورة هي أفضل السور القرآنية في أهميتها، وكثرة ثوابها، وعظم نفعها.

الحديث الثاني: وعن خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ عَمِّهِ ك، قَالَ: «أَقْبَلْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَتَيْنَا عَلَى حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالُوا: إِنَّا أُنْبِئْنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ، فَهَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رُقْيَةٍ فَإِنَّ عِنْدَنَا مَعْتُوهًا فِي الْقُيُودِ؟ قَالَ: فَقُلْنَا: نَعَمْ قَالَ: فَجَاءُوا بِمَعْتُوهٍ فِي الْقُيُودِ، قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ

(١) «منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري» لحمزة محمد قاسم (٥ / ٢٩). بتصرف.

(٢) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤/ ١٦٣).

(٣) «منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري» لحمزة محمد قاسم (٥ / ٢٩). بتصرف.

غُدْوَةً، وَعَشِيَّةً، كُلَّمَا خَتَمْتُهَا أَجْمَعُ بُزَاقِي ثُمَّ أَتْفُلُ فَكَأَنَّمَا نَشَطَ مِنْ عِقَالٍ، قَالَ: فَأَعْطَوْنِي جُعْلًا، فَقُلْتُ: لَا، حَتَّى أَسْأَلَ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: **كُلْ فَلَعَمْرِي مَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ**»[(١)].

«والجُعْل مفرد أجعال وجُعُول: أجرٌ يُتقاضَى على عمل «جعل له جُعْلًا»[(٢)].

الحديث الثالث: وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**»[(٣)].

«**(نقيضًا)**: أي صوتًا شديدًا كصوت نقض خشب البناء عند كسره، وقيل: صوتًا مثل صوت الباب، **(من فوقه)**: أي مع جهة السماء أو من قبل رأسه، **(فرفع)**: أي جبريل، **(رأسه فقال)**: أي جبريل، **(بنورين)**: سماهما نورين لأن كل واحدة منهما نور يسعى بين يدي صاحبها أو لأنهما يرشدان إلى الصراط المستقيم بالتأمل فيه والتفكر في معانيه، أي بما في آيتين منورتين **(أوتيتهما لم يؤتهما)**: بصيغة المجهول، أي يعطها **(لن تقرأ)**: الخطاب له ﷺ والمراد هو وأمته إذ الأصل مشاركتهم له في كل ما أنزل عليه إلا ما اختص به، **(بحرف منهما)**: أي بكل حرف من الفاتحة والخواتيم، و الباء زائدة يقال: أخذت بزمام الناقة وأخذت زمامها، ويجوز أن يكون لإلصاق القراءة به»[(٤)].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤/ ٣٩٠١)، والنسائي (١/ ١٠٣٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) «معجم اللغة العربية المعاصرة». د أحمد مختار عبد الحميد عمر (١/ ٣٧٨).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٢٥٤)، والنسائي (٢/ ٩١٢).

(٤) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٤٦٥).

الحديث الرابع: وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»(١).

قال ابن بطال: «واختلفوا فى قوله عليه السلام: (**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**)، إن كان على العموم أو الخصوص، فقالت طائفة: هو على العموم، ويجب على المرء فى كل ركعة قراءة فاتحة الكتاب صلاها منفردًا أو مأمومًا، أو إمامًا فيما يجهر فيه الإمام أو يسر، هذا مذهب الأوزاعى، والشافعى، وأبو ثور، وإلى هذا أشار البخارى فى قوله: وجوب القراءة للإمام والمأموم. وقالت طائفة: قوله: (**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**)، على العموم إلا أن يصلى خلف الإمام فيما يجهر فيه الإمام ويسمع قراءته، فإنه لا يقرأ لقوله: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ولا يختلف أهل التأويل أن المراد بهذه الآية سماع القرآن في الصلاة، ومعلوم أن هذا لا يكون إلا فى صلاة الجهر؛ لأن السر لا يستمع إليه ولقوله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا**»(٢)، وهذا قول مالك، وأحمد، وإسحاق. وقالت طائفة: قوله: (**لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب**)، على الخصوص، وإنما خوطب بذلك من صلى وحده، فأما من صلى مع الإمام فليس عليه أن يقرأ لا فيما جهر ولا فيما أسرّ، هذا قول الثورى، والكوفيين»(٣).

الحديث الخامس: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ**. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١/ ٧٥٦)، ومسلم (١/ ٣٤). وأبو داود (١/ ١٠١)، والترمذي (١/ ٢٤٧)

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١/ ٣٧٨)، ومسلم (١/ ٤١١)، والنسائي (٢/ ٩٢١). وزياد: وإذا قرأ فأنصتوا، عند النسائي وحسنها الألباني هناك.

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٢/ ٣٧٢).

فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ؛ فإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»(١).

«فَهِيَ خِدَاجٌ»، معناه: ناقصة نَقْصَ فساد وبطلان، تقول العرب: أخدجت الناقة: إِذَا أَلْقَتْ وَلَدَهَا وَهُوَ دَمٌ، وَالْخِدَاجُ: اسم مبني عليه، وقيل: فهي خِدَاجٌ، أَيْ ذَاتَ خِدَاجٍ، أَيْ: نقصانٌ، وقوْلُهُ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ» يُرِيدُ بِالصَّلَاةِ: القراءة، يدل على ذلك قوله عند التفسير له والتفصيل للمراد منه إذا قال العبد [**الحمد الله رب العالمين**] يقول الله حمدني عبدي إلى آخر السورة، وقد تسمى القراءة صلاة لوقوعها في الصلاة وكونها جزءا من أجزائها كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قيل معناه القراءة وقال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، أراد صلاة الفجر فسمى الصلاة مرة قرآنًا والقرآن مرة صلاة لانتظام أحدهما الآخر يدل على صحة ما قلناه. قوله بيني وبين عبدي نصفين والصلاة خالصة لله لا شرك فيها لأحد فعقل أن المراد به القراءة»(٢).

قال ابن رجب: «هذا الحديث يدل على أن الله يستمع لقراءة المصلي حيث كان مناجيًا له، ويرد عليه جواب ما يناجيه به كلمة كلمة، فأول الفاتحة حمد، ثم ثناء، وهو

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٣٨)، وأبو داود (١/ ٨٢١). والترمذي (١/ ٢٩٥٣) وغيرهم.
(٢) «معالم السنن»، وهو شرح سنن أبي داود (١/ ٢٠٣).

تثنية الحمد وتكريره، ثم تمجيد، والثناء على الله بأوصاف المجد والكبرياء والعظمة، ثم ينتقل العبد من الحمد والثناء والتمجيد إلى خطاب الحضور، كأنه صلح حينئذ للتقريب من الحضرة فخاطب خطاب الحاضرين، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]. وهذه الكلمة قد قيل: أنها تجمع سر الكتب المنزلة من السماء كلها؛ لأن الخلق إنما خلقوا ليؤمروا بالعبادة، كما قالَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأنما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب لذلك، فالعبادة حق الله على عباده، ولا قدرة للعباد عليها بدون إعانة الله لهم، فلذلك كانت هذه الكلمة بين الله وبين عبده؛ لأن العبادة حق الله على عبده، والإعانة من الله فضل من الله على عبده.

وبعد ذلك الدعاء بهداية الصراط المستقيم؛ صراط المنعم عليهم، وهم الأنبياء وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين، كما ذكر ذلك في سورة النساء»[(١)].

«وقوله: (**حمدني عبدي**) الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري نعمة كان أو غيرها. (**أثنى عليَّ عبدي**) الثناء هو ذكر الخير باللسان على جهة التعظيم. (**مالك يوم الدين**) أي الحساب. وقيل: الجزاء، وخص بالذكر لأن الله تعالى هو المنفرد بالملك ذلك اليوم، ويجزاء العباد وحسابهم، ولا دعوى لأحد ذلك اليوم حقيقة ولا مجازًا. وأما في الدنيا فلبعض العباد ملك مجازي، ويدعى بعضهم دعوى باطلة وكل هذا ينقطع في ذلك اليوم. (**مجدني**) أي عظمني، والتمجيد نسبة إلى المجد وهو العظمة، أي ذكرني بالعظمة والجلال. قال النووي: قوله (**حمدني عبدي**) وأثنى على ومجدني: إنما قاله؛ لأن التحميد الثناء بجميل الفعال، والتمجيد الثناء بصفات الجلال، ويقال: أثنى عليه: في ذلك كله، ولهذا جاء جوابًا للرحمن الرحيم لاشتمال اللفظين على الصفات الذاتية والفعلية. قيل: **الرحمة رحمتان**: رحمة ذاتية مطلقة امتنانية، وهي التي وسعت كل شيء لا سبب لها ولا موجب،

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن رجب الحنبلي(٧/ ١٠٣).

وليست بمقابلة شيء، **والأخرى** هي الفائضة عن الرحمة الذاتية، مقيدة بشروط موجبه لها من أعمال وأحوال وغيرهما، ومتعلق طمع إبليس هو الأول. **(إياك نعبد)** أي نخصك للعبادة. وقدم المعمول للاختصاص والحصر. **(وإياك نستعين)** أي نخصك بالاستعانة على العبادة وغيرها. **(هذا بيني وبين عبدي)** قال القرطبي: إنما قال الله تعالى هذا لأن في ذلك تذلل العبد لله تعالى وطلبه الاستعانة منه، وذلك يتضمن تعظيم الله وقدرته على ما طلب منه. وقال الباجي: معناه أن بعض الآية تعظيم للباري، وبعضها استعانة على أمر دينه ودنياه من العبد به. **(ولعبدي ما سأل)** من العون وغيره. وقيل: كرره تأكيدًا، والمراد هو ما ذكره أولًا. **(فإذا قال)** العبد. **(اهدنا الصراط المستقيم)** قيل: هو بيان للمعونة المطلوبة، وقيل: إفراد لما هو أعظم مقصودا، أي ثبتنا على دين الإسلام أو طريق متابعة الحبيب ﷺ **(صراط الذين أنعمت عليهم)** من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. **(غير المغضوب عليهم)** أي اليهود. **(ولا الضالين)** أي غير النصارى. **(هذا لعبدي)** أي مختص بالعبد؛ لأنه دعاء وسؤال يعود نفعه إلى العبد. **(ولعبدي ما سأل)** أي غير هذا، والمعنى: هذا متحقق وثابت لعبدي، وغيره مما يسأله موعود إجابته»[(١)].

فضل سورة البقرة

الحديث الأول: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»[(٢)].

«وقوله: **(مقابر)**: أي خالية من الذكر والطاعة فتكون كالمقابر وتكونون كالموتى فيها أو معناه: لا تدفنوا موتاكم فيها، ويدل على المعنى الأول قوله **(إن الشيطان)** استئناف كالتعليل، **(ينفر)**: أي يخرج ويشرد، **(من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)** والمعنى:

---

(١) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٢١٢)، وأبو داود (٧/ ٧٩٦١).

ييأس من إغواء أهله ببركة هذه السورة، أو لما يرى من جدهم في الدين واجتهادهم في طلب اليقين وخص سورة البقرة بذلك لطولها وكثرة أسماء الله تعالى»[١].

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**»[٢].

«قوله: (**بالآيتين**): وهما من قوله: (**آمن الرسول**) إلى آخر السور، ووجه تخصيصهما بما تضمنتا من الثناء على الله عَزَّوَجَلَّ وعلى الصحابة لجميل انقيادهم إلى الله تعالى وابتهالهم ورجوعهم إليه في جميع أمورهم، ولما حصل فيهما من إجابة دعواهم.

قوله: (**كفتاه**) أي: عن قيام الليل، وقيل: ما يكون من الآفات تلك الليلة، وقيل: من الشيطان وشره، وقيل: كفتاه من حزبه إن كان له حزب من القرآن، وقيل: حسبه بهما أجرا وفضلا، وقيل: أقل ما يكفي في قيام الليل آيتان مع أم القرآن وقال المظهري: أي دفعتا عن قاريهما شر الإنس والجن»[٣].

فضل آية الكرسي

الحديث الأول: وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**»[٤].

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ٢١١٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠٠٩)، والنسائي (١/ ٧٩٦٦). وابن خزيمة (٣/ ١١٤١).

(٣) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٠/ ٣٠).

(٤) صحيح: أخرجه النسائي (٩/ ٩٨٤٨)، صححه الألباني في صحيح الجامع برقم: (٦٤٦٤).

«يعني لم يبق من شرائط دخول الجنة إلا الموت وكأن الموت يمنعه ويقول لا بد من حضوري أولا لتدخل الجنة. قيل دبر الصلاة يحتمل قبل السلام وبعده ورجح ابن تيمية كونه قبله وفيه بعد ودبر الشيء كل شيء منه في دبر كدبر الحيوان»[(١)].

الحديث الثاني: وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟»** قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟»** قَالَ: قُلْتُ: ﴿ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: **«وَالله لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»**[(٢)].

«قوله: **(يا أبا المنذر)**: بصيغة الفاعل كنية أبي بن كعب، **(أتدري أي آية)**: اسم استفهام معرب لازم الإضافة ويجوز تذكيره وتأنيثه عند إضافته إلى المؤنث، **(من كتاب الله تعالى معك)**: أي حال كونه مصاحبا لك، قال الطيبي: وقع موقع البيان لما كان يحفظه من كتاب الله لأن مع كلمة تدل على المصاحبة. وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن حفظ القرآن كله في زمنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا ثلاثة من بني عمه **(أعظم؟)**: قال إسحاق بن راهويه وغيره: المعنى راجع إلى الثواب والأجر، أي أعظم ثوابا وأجرا وهو المختار كذا ذكره الطيبي. ففوض الجواب أولًا وأجاب ثانيًا لأنه جوز أن يكون حدث أفضلية شيء من الآيات غير التي كان يعلمها، فلما كرر عليه السؤال والمعاد بقول **(قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله تعالى معك أعظم؟)**:ظن أن مراده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلب الإخبار عما عنده فأخبره بقوله، قلت: ﴿ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إلى آخر آية الكرسي كذا ذكره ابن حجر، والأولى أن يقال: فوض أولًا أدبًا وأجاب ثانيًا طلبًا جمعًا بين الأدب

(١) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٦/ ٨٩٢٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٨١٠).

والامتثال كما هو دأب أرباب الكمال، قال الطيبي: سؤاله ﷺ من الصحابي قد يكون للحث على الإسماع وقد يكون للكشف عن مقدار علمه وفهمه، فلما راعى الأدب أولًا ورأى أنه لا يكتفي به علم أن المقصود استخراج ما عنده من مكنون العلم فأجاب، وقيل: انكشف له العلم من الله تعالى، أو من مدد رسوله ببركة تفويضه وحسن أدبه في جواب مسائلته، قيل: وإنما كانت آية الكرسي أعظم آية لاحتوائها واشتمالها على بيان توحيد الله وتمجيده وتعظيمه وذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكل ما كان من الأذكار في تلك المعاني أبلغ كان في باب التدبر والتقرب به إلى الله أجل وأعظم، **(قال)**: أي أبي **(فضرب)**: أي النبي ﷺ، **(في صدري)**: محبة. وفيه إشارة إلى امتلاء صدره علما وحكمة، **(وقال: ليهنك العلم)** وفي نسخة: ليهنئك بهمزة بعد النون على الأصل فحذف تخفيفا، أي ليكن العلم هنيئًا لك، **(يا أبا المنذر)** قال الطيبي: يقال هنأني الطعام يهنأني ويهنئني وهنأت، أي تهنأت به وكل أمر أتاك من غير تعب فهو هنيء، وهذا دعاء له بتيسير العلم ورسوخه فيه ويلزمه الإخبار بكونه عالمًا وهو المقصود، وفيه منقبة عظيمة لأبي المنذر ﷺ»[1].

الحديث الثالث: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «وَكَّلَنِي رَسُولُ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟»**، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: **«أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»**، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٤٦٢).

قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ؟**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ الله، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ الله بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ **اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي الله بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «**مَا هِيَ؟**»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿ **اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ** ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**»[(١)].

«(**يحثو**) يأخذ بكفيه. (**علي عيال**) نفقة عيال وهم الزوجة والأولاد ومن في نفقة المرء. (**أسيرك**) سمي أسيرا لأنه ربطه بحبل وكانت عادة العرب أن تربط الأسير إذا أخذته بحبل. (**البارحة**) أقرب ليلة مضت. (**فرصدته**) ترقبته. (**آية الكرسي**) الآية التي يذكر فيها كرسي الرحمن جَلَّ وَعَلَا وهي قوله تعالى: [الله لا إله إلا هو الحي القيوم]. (**وكانوا**) أي الصحابة يحرصون على تعلم الخير فيأخذونه حيثما صدر ويبذلون في سبيله

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣/ ٢٣١١)، والنسائي (٩/ ١٠٧٢٩).

كل شيء من متاع الدنيا. (قد صدقك) أخبرك بما يوافق الواقع والحق. (وهو كذوب) من شأنه وخلقه كثرة الكذب»[١].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- جواز رؤية الجن لكن لي على هيئاتهم إنما على صور أخرى.

٢- إخباره ﷺ بالغيب.

٣- تمكن أبي هريرة رضي الله عنه من أخذه الشيطان ببركة متابعته للرسول ﷺ[٢].

٤- منقبة لأبي هريرة رضي الله عنه.

٥- ويعلم منه إعلاء حال المتبوع[٣].

٦- دليل جمع زكاة فطرهم ثم توكيلهم أحدًا بتفريقها[٤].

٧- فضل آية الكرسي.

٨- فضل آيات مخصوصة من القرآن.

٩- التحذير من مخاطر الشيطان.

فضل البقرة وآل عمران

عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ**

(١) شرح د مصطفى البغا. على البخاري.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ٢١٢٣)

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ[(١)].

«(الزهراوان): المنيرتان. يقال لكل منير زاهر. والزهرة: البياض النير. وقوله: (كأنهما غمامتان) الغمامة والغمام: الغيم الأبيض، وسمي غماما لأنه يغم السماء: أي يغطيها، يقال: غامت السماء وأغامت وتغيمت وغيمت وغمت وأغمت وغيمت. وقوله: (أو غيايتان) قال أبو عبيد: الغياية: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة. ويقال: غايا القوم فوق رأس فلان بالسيف، كأنهم أظلوه، قال لبيد:

فتدليت عليه قافلا ... وعلى الأرض غيايات الطفل

وقوله: (كأنهما فرقان) الفرق: القطعة من الشيء، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، ويقال للقطيع من الغنم: فرق. ومعنى قوله: (فرقان): قطعتان. وقوله: (صواف): أي مصطفة متضامة لتظلل قارئها. (البطلة): السحرة»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضل القرآن.

٢- شفاعة القرآن لأهله يوم القيامة.

٣- فضيلة سورة البقرة وآل عمران.

٤- فضيلة أخذ سورة البقرة لما فيها من البركة والخير الكبير.

٥- سورة البقرة لا يقدر عليها السحرة، فبها يعجز السحرة ويبطل سحرهم.

٦- الحث على قراءة القرآن وحفظه.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٢٥٢)، وأحمد في مسنده (٢٢١٤٦).

(٢) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤/ ١٥٠).

٧- إثبات فضائل لسور معينة.

٨- إثبات الشفاعة.

٩- بيان فضل النبي ﷺ حيث لم يترك خيرًا إلا دلنا عليه، ولم يترك شرًا إلا حذرنا منه.

سورة الأعراف

وعن مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، قَالَ: قَالَ لِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه: «**مَا لَكَ تَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِقِصَارٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ بِطُولَى الطُّولَيَيْنِ**»(١).

«وقوله: (**بطولي الطوليين**) طولى: وزنه فُعْلَى، والطوليين: تثنية الطولى.

ويقال: إنه هاهنا أراد الأعراف: فإنها أطول من صاحبتها الأنعام: ذكره الخطابي.

وخرج أبو داود هذا الحديث من طريق ابن جريج، وزاد فيهِ: قالَ: قلت: وما طولى الطوليين؟ قالَ: الأعراف قالَ: فسألت ابن أبي ملكية، فقالَ لي من قبل نفسه المائدة والأعراف»(٢).

قال الزرقاني: «واتفقت الروايات على تفسير الطولى بالأعراف، وفي تفسير الأخرى بالمائدة والأنعام ويونس روايات المحفوظ منها الأنعام. وفي حديث سليمان بن يسار عن أبي هريرة: «**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ صَلَاةً بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، مِنْ فُلَانٍ، قَالَ: وَكَانَ يُطِيلُ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ، وَيُخَفِّفُ الْأُخْرَيَيْنِ، وَيُخَفِّفُ الْعَصْرَ**»(٣).

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١/ ٧٦٤)، وأبو داود (١/ ٨١٢).

(٢) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (٧/ ٢٣) باختصار.

(٣) حسن: أخرجه ابن ماجة (١/ ٨٢٧)، وابن خزيمة (١/ ٥٢٠)،وابن حبان (٥/ ١٨٣٧)، وحسنه الألباني هناك برقم (١٨٣٧).

وطريق الجمع بين هذه الأحاديث أنه كان ﷺ أحيانًا يطيل القراءة في المغرب إما لبيان الجواز، وإما للعلم بعدم المشقة على المأمومين. وحديث زيد بن ثابت ففيه إشعار بذلك؛ لكونه أنكر على مروان المواظبة على القراءة بقصار المفصل، ولو علم مروان أنه ﷺ واظب على ذلك لاحتج به على زيد، لكن لم يرد زيد منه المواظبة على القراءة بالطوال، وإنما أراد منه أن يتعاهد ذلك كما رآه من النبي ﷺ»[(١)].

وقال الشوكاني: «قوله: (**يطيل القراءة في المغرب**): إما لبيان الجواز وإما لعلمه بعدم المشقة على المأمومين ولكنه يقدح في هذا الجمع ما في البخاري وغيره من إنكار زيد بن ثابت على مروان مواظبته على قصار المفصل في المغرب ولو كانت قراءته ﷺ السور الطويلة في المغرب لبيان الجواز لما كان ما فعله مروان من المواظبة على قصار المفصل إلا محض السنة ولم يحسن من هذا الصحابي الجليل إنكار ما سنه رسول الله ﷺ ولم يفعل غيره إلا لبيان الجواز، ولو كان الأمر كذلك لما سكت مروان عن الاحتجاج بمواظبته ﷺ على ذلك في مقام الإنكار عليه وأيضًا بيان الجواز يكفي فيه مرة واحدة، وقد عرفت أنه قرأ بالسور الطويلة مرات متعددة وذلك يوجب تأويل لفظ كان الذي استدل به على الدوام بمثل ما قدمنا.

فالحق أن القراءة في المغرب بطوال المفصل وقصاره وسائر السور سنة والاقتصار على نوع من ذلك إن انضم إليه اعتقاد أنه السنة دون غيره مخالف لهديه ﷺ»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضيلة سورة الأعراف.

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (١/ ٣٠٤) باختصار.

(٢) نيل الأوطار (٢/ ٢٧٣) باختصار.

٢- جواز قراءة السور الطويلة أو القصيرة في صلاة المغرب، مع مراعاة أحوال المأمومين، قاله أهل العلم.

٣- فضائل سور معينة من القرآن.

السبع الطوال

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأُوَلَ فَهُوَ حَبْرٌ**»(١).

المراد بـ(**السَّبْعَ الْأُوَلَ**): أولها البقرة وآخرها الأنفال، والمراد حفظها والعمل بما فيها.

وأما قوله: (**فهو حبر**): قال أبو منصور الهروي: «قال أبو عبيد: وأما الأحبار: فالفقهاء قد اختلفوا فيه فبعضهم يقول: حَبْرٌ وبعضهم: حِبْرٌ. قال، وقال الفراء: إنما هو حِبْر. يقال ذلك للعالم. وإنما قيل كعب الحِبْر لمكان هذا الحِبْرِ الذي يكتب به؛ وذلك أنه كان صاحب كتب. قال وقال الأصمعي: لا أدري أهو الحِبْرُ أو الحَبْرُ للرجل العالم. وكان أبو الهيثم يقول: واحد الأحْبَار حَبْرٌ لا غير، وينكر الحِبرَ. وأخبرني المنذري عن الحراني عن ابن السكيت عن ابن الأعرابي قال: حَبْرٌ وحِبْرٌ للعالم»(٢).

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل السبع الأول من القرآن الكريم.

٢- الحث على حفظ القرآن والعمل به.

٣- فضائل سور معينة من القرآن الكريم.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢٤٤٤٣)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٩٧٩).

(٢) تهذيب اللغة (٥/ ٢٣) باختصار.

هود وأخواتها

الحديث الأول: وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ شِبْتَ، قَالَ: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا**»(١).

«أي: من كل سورة ذكر فيها الاستقامة، وما فعل الله بالأمم قبلي، من عاجل بأس الله الذي قطع دابرهم، وإنما شيبه ذلك مع عصمته وتحقيقه أن الحق لا يمكر به؛ لأن المقرب ولو بالغ في الاستقامة يمنعه الأدب مع الله أن يشهد في نفسه أنه وفّى بالأمر بحيث لم يبق بعده درجة يمكن صعودها، بل المقَرب أولى بشدة الخوف ممن سواه؛ لأن من خصائص حضرات القرب شدة الخوف لكمال التجلي بالهيبة، وكلما زاد القرب زاد الخوف ومن ادعى مقام التقريب مع الإدلال على الله فما عنده خبر من التقريب»(٢).

الحديث الثاني: وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ الله قَدْ شِبْتَ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ**»(٣).

«أي: لما فيها من ذكر الأمم وما حل بهم من عاجل بأس الله فأهل اليقين إذا تلوها انكشفت لهم من ملكه وسلطانه وبطشه وقهره ما تذهل منه النفوس وتشيب منه الرؤوس، فلو ماتوا فزعًا لحق لهم لكن الله لطف بهم لإقامة الدين»(٤).

---

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٧٩٠)، وصحح الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٧٢٠).

(٢) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٤/ ٤٩١٧).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٩٧)، وصحح الشيخ الألباني في الصحيحة برقم (٩٥٥).

(٤) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٤/ ٤٩١٣).

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل سور هود وأخواتها.

٢- الحث على قراءة القرآن وتدبره والعمل بما فيه.

٣- الاتعاظ بما حلّ بالأمم السابقة.

٤- خوفه ﷺ على أمته.

٥- أدب النبي ﷺ مع ربه وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا لا يمنعه أنَّه أشد خوفًا من الله ممن سواه.

سورة بني إسرائيل (الإسراء)

الحديث الأول: وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «....**كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالزُّمَرَ**»(١).

وسورة بني إسرائيل: هي سورة الإسراء. أي لم يكن عادته النوم قبل قراءتهما لما فيهما من الأجر العظيم والخير العميم.

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضيلة سور الإسراء والزمر.

٢- استحباب قراءة سورتي الإسراء والزمر قبل النوم.

٣- استحباب قراءة سور معينة من القرآن.

٤- استحباب ذكر الله قبل النوم.

٥- فضائل سور معينة من القرآن.

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٩/ ١٠٤٨٠)وأحمد(٢٤٣٨٨)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح ابن خزيمة» برقم [١١٦٣].

الحديث الثاني: وعَنْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ، قال: «**سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالأَنْبِيَاءِ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي**»(١).

«**(والعتاق)**: جمع عتيق، والعرب تجعل كل شيء بلغ الغاية في الجودة عتيقا، ومنه البيت العتيق أي الكعبة.يريد تفضيل هذه السور لما تتضمن من ذكر القصص وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. **(والتلاد)** ما كان قديما من المال، يريد أنها من أوائل السور المنزلة في أول الإسلام؛ لأنها مكية، وأنها من أول ما قرأه وحفظه من القرآن، والله أعلم»(٢).

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل سور معينة من القرآن.

٢- فضائل سور العتاق الأُول.

٣- الحث عل حفظ القرآن وأخذه.

سورة الكهف

الحديث الأول: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ**»(٣).

«قوله **(أضاء له)**: أي في قلبه أو قبره أو يوم حشره في الجمع الأكبر، **(النور)**: قيل أي نور السورة أو نور أجرها. وقيل أي نور الهداية والإيمان والحمل على ظاهره

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٩٤).

(٢) «شعب الإيمان» (٤/ ٨٨) للإمام أبي بكر البيهقي.

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٣٩٢). وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦٤٧٠].

أولى لعدم ما ينافيه عقلًا وشرعًا كما لا يخفى، (**ما بين الجمعتين**): أي مقدار ما بينهما من الزمان. قال الطيبي: قوله (**أضاء**) له يجوز أن يكون لازمًا وقوله: (**ما بين الجمعتين**): ظرف فيكون إشراق ضوء النور فيما بين الجمعتين بمنزلة إشراق النور نفسه مبالغة، ويجوز أن يكون متعديًا فيكون ما بين مفعولًا به. قال الشوكاني: معنى إضاءة النور له ما بين الجمعتين إنه لا يزال عليه أثرها وثوابها في جميع الأسبوع»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضيلة سورة الكهف.

٢- فضائل سور مخصوصة من القرآن.

٣- الحث على قراءة سور مخصوصة في أوقات مخصوصة.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا وَمَرْفُوعًا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ**»[(٢)].

قوله: «(**البيت العتيق**): أي عتق من الجبابرة،أو من الغرق في عهد نوح،أو سمي عتيقا لشرفه أو لحسنه، أو لقدمه، والمراد بالعتيق الشريف، وفرس عتيق: أي بالغ في الجودة أو السبق، وسمي أبو بكر عتيقا: لشرفه، أو لحسنه،أو لعتقه من النار، وقيل بل هو علم شخص سماه أبوه عبد الله وأمه عتيقًا»[(٣)].

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢١٩٦).

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٣٩٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٥٩٩٦)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٦٤٧١].

(٣) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١/ ١٥٣) بتصرف.

الحديث الثالث: عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ**»[(١)].

«قوله: (**فخفض فيه ورفع**): في معناه قولان أحدهما أن خفض فيه بمعنى حقره وقوله رفعه أي عظمه وفخمه فمن تحقيره وهو أنه على الله تعالى عوده، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة، وإنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه، والوجه الثاني أنه خفض من صوته في حال كثرة ما تكلم فيه فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كمالًا، (**في طائفة النخل**): أي ناحيته وجانبه، (**فعرف ذلك**): أي أثر خوف الدجال، (**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ**): من أفعل التفضيل وتقديره غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم ثم حذف المضاف إلى الياء، أو: أخوف من أخاف بمعنى خوف ومعناه غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم، ذكره النووي، (**إن يخرج وأنا فيكم**): أي موجود فيم بينكم فرضًا وتقديرًا، (**فأنا حجيجه**) فعيل بمعنى الفاعل من الحجة وهي البرهان أي غالب عليه بالحجة، (**دونكم**): أي قدامكم ودافعه عنكم وفيه إرشاد أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان في المحاجة معه غير محتاج إلى معاونة معاون من أمته في إلى غلبته عليه بالحجة، (**فامرؤ حجيج نفسه**): أي فكل امرئ يحاجه ويحاوره ويغالبه لنفسه، (**والله خليفتي على كل مسلم**): يعني والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولي كل مسلم وحافظه فيعينه عليه

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٤/ ٢٩٣٧)، وأبو داود (٤/ ٤٣٢١)،والنسائي (٧/ ٧٩٧٠)، وابن ماجه (٣/ ٤٠٧٥).

ويدفع شره، (**شاب قطط**): أي شديد جعودة الشعر، (**عينه طَافِئَةٌ**): أي طافئة أي مرتفعة، (**شبيه بعبد العزى بن قطن**): قال الطيبي قيل إنه كان يهوديا، قال القاري: ولعل الظاهر أنه مشترك لأن العزى اسم صنم ويؤيده في بعض ما جاء في الحواشي هو رجل من خزاعة هلك في الجاهلية، (**فليقرأ فواتح سورة الكهف**): أي أوائلها. قال الطيبي المعنى أن قراءته أمان له من فتنته كما آمن تلك الفتية من فتنة دقيانوس الجبار»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- حرص النبي ﷺ وخوفه على أمته بتحذيرهم مما يضرهم وتوجيههم إلى ما ينفعهم.

٢- دلالة على علامات الساعة الكبرى وقرب وقوعها.

٣- التحذير من فتنة الدجال.

٤- حرص الصحابة على العلم والتعلم والزيادة من الرسول ﷺ.

٥- وصف النبي ﷺ للدجال ليحذره الناس.

٦- فضائل سورة الكهف.

٧- فضائل سور وآيات مخصوصة من القرآن.

٨- الإيمان بالغيب، وأن النبي ﷺ يخبر بالغيب بواسطة الوحي.

الحديث الرابع: عنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**»[(٢)].

---

(١) «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (٦/ ٤١٣) بتصرف واختصار.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٢٥٧)، وأبو داود (٤/ ٤٣٢٣)، وأحمد (٢١٧١٢).

«قوله: (**عصم**): أي حفظ، (**من الدجال**): أي من شره، وفي رواية: من فتنة الدجال، قال الطيبي: كما أن أولئك الفتية عصموا من ذلك الجبار، كذلك يعصم الله القارئ من الجبارين، وقيل: سبب ذلك ما فيها من العجائب والآيات، فمن تدبرها لا يفتتن بالدجال، ولا منع من الجمع وهو الأظهر بالخصوص، واللام للعهد وهو الذي يخرج في آخر الزمان ويدعي الألوهية لخوارق تظهر على يديه كقوله للسماء أمطري فتمطر لوقتها وللأرض انبتي فتنبت لوقتها زيادة في الفتنة، ولذلك لم توجد فتنة على وجه الأرض أعظم من فتنته، وما أرسل الله من نبي إلا حذره قومه، وكان السلف يعلمون حديثه الأولاد في المكاتب، أو للجنس فإن الدجال من يكثر منه الكذب والتلبيس»[(١)].

الحديث الخامس: عنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وَإِلَى جَانِبِهِ حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو وَتَدْنُو وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالقُرْآنِ**»[(٢)].

قوله: (**كان رجل**) قيل: هو أسيد بن حضير. قوله: (**حصان**) بكسر الحاء، هو الفحل الكريم من الخيل قوله: (**بشطنين**): تثنية شطن، وهو الحبل، وإنما كان الربط بشطنين لأجل جموحه واستصعابه. قوله: (**فتغشته**) أي: أحاطت به سحابة. قوله: (**تدنو**) أي: تقرب. قوله: (**ينفر**) من النفرة، قوله: (**تلك السكينة**) عن الضحاك: الرحمة، وعن عطاء ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، وهو اختيار الطبري، وقال النووي: المختار أنها من المخلوقات فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة، وقد تكرر في القرآن والحديث لفظ السكينة، فيحل في كل موضع وردت فيه على ما يليق به من المعاني المذكورة، والذي يليق

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧/ ٢١٩٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠١١)، ومسلم (١/ ٢٤٠)، وأحمد [١٨٥٩٠].

في المذكور في الباب قول الضحاك، والله أعلم. قوله: (تنزلت): تنزل، بضم اللام على صيغة المضارع، وأصله: تتنزل بتاءين فحذفت إحداهما»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل سورة الكهف. ٢- نزول السكينة والملائكة للقرآن.

٣- تأثر المخلوقات بكلام الله تعالى. ٤- فضائل سور معينة من القرآن الكريم.

سورة مريم و طه

الحديث الأول: وعَنْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ، قال: «**سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالأَنْبِيَاءِ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي**»[(٢)].

مر في سورة بني إسرائيل أنها من العتاق الأول.

الحديث الثاني: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّ اسْمَ اللهِ الْأَعْظَمَ لَفِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ: فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ**»، قال القاسم الراوي عن أبي أمامة: فَالْتَمَسْتُهَا فَوَجَدْتُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَفِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]، وَفِي سُورَةِ طَهَ: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١]»[(٣)].

---

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٠/ ٣١).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٩٤).

(٣) حسن: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٨٣٧١)، الطبراني في «الكبير» (٨/ ٧٧٥٨)، و«المستدرك» (١/ ١٨٦١) وحسنه الألباني في «الصحيحة» برقم [٧٤٦].

«فاسم الله الأعظم هو: (**الحي القيوم**) وهذا ما قرره الإمام فخر الدين الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ واحتج بأنهما يدلان على صفات الربوبية، ما لا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما. واختار النووي (**يا حي يا قيوم**) وقيل: هما اسم الله الأعظم، وقال: لعزتهما في القرآن، لم يذكرا فيه إلا في ثلاثة مواضع، وتعقب تعليله بأن بعض الأسماء لم يذكر فيه إلا مرة، ولم يقل في حقه ذلك.، وقال الجزري: وعندي أنه لا إله إلا هو الحي القيوم.

وقيل بأن اسم الله الأعظم رب رب. ومنها: **الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم**، نقل هذا عن الإمام زين العابدين، أنه رأى في النوم. ومنها: كلمة التوحيد، نقله القاضي عياض، عن بعض العلماء. ومنها: أنه **الله** لأنه اسم لم يطلق على غيره تعالى، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى، ومن ثم أضيفت إليه. ومنها: **الله الرحمن الرحيم**. وأنكر قوم من العلماء ترجيح بعض الأسماء الإلهية على بعض، وقالوا: ذلك لا يجوز لأنه يؤذن باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل، وأولوا ما ورد من ذلك بأن المراد بالأعظم العظيم، إذ أسماؤه كلها عظيمة.

قال أبو جعفر الطبري: اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم، وعندي أن الأقوال كلها صحيحة، إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم، ولا شيء أعظم منه، فكأنه يقول: كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم، فيرجع لمعنى عظيم. وقال ابن حبان: الأعظمية الواردة في الأخبار إنما يراد بها مزيد الداعي في ثوابه إذا دعا بها، كما أطلق ذلك في القرآن، والمراد له مزيد الثواب للقارئ، وقيل: المراد بالاسم الأعظم كل اسم من أسمائه تعالى دعا به العبد مستغرقا، بحيث لا يكون في خاطره وفكره حالتئذ غير الله فإنه يحصل له ذلك. وقال آخرون: استأثر الله تعالى بعلم الاسم الأعظم، ولم يطلع عليه أحد، وأثبته آخرون، واضطربت أقوالهم في ذلك، كما ذكرنا بعضها»[1].

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ٢٢٩٢) بتصرف واختصار.

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل سور معينة من القرآن.

٢- فضائل سور البقرة وآل عمران وطه.

٣- أن اسم الله الأعظم في هذه السور الثلاث.

سورة الأنبياء

الحديث الأول: عنْ سَعْدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ**»(١).

«قوله: **(دعوة ذي النون)**: أي: صاحب الحوت، وهو سيدنا يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، **(إذ دعا)**: أي: ربه **(وهو في بطن الحوت)**: جملة حالية ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. بدل من الدعوة، لأنها في الأصل المرة من الدعاء، ويراد هنا المدعو به مع التوسل فيه بما يكون سببا لاستجابته، **(لم يدع بها)**: أي: بتلك الدعوة، أو هذه الكلمات، **(رجل مسلم في شيء)**: أي: من الحاجات، **(إلا استجاب)** أي: الله، **(له)**: ولعله لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]. ومختصر قصته عَلَيْهِ السَّلَامُ أن الله تعالى بعثه إلى أهل نِينَوَى من أرض الموصل، فدعاهم إلى الإيمان، فلم يؤمنوا، فأوحى الله إليه أن أخبرهم أن العذاب يأتيهم بعد ثلاثة أيام، فخرج يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ من بينهم، فظهر سحاب أسود ودنا حتى وقف فوق بلدهم، فظهر منه دخان، فلما أيقنوا أنه سينزل بهم العذاب خرجوا مع أزواجهم وأولادهم ودوابهم إلى الصحراء، وفرقوا بين الأولاد والأمهات من الإنسان

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٥٠٥)، والنسائي (١/ ٦٥٦)، و«المستدرك» (١/ ١٨٦٢). وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٣٣٨٣].

والدواب، ورفعوا أصواتهم بالتضرع والبكاء، وآمنوا وتابوا عن الكفر والعصيان وقالوا: يا حي حين لا حي، لا إله إلا أنت، فأذهب الله عنهم العذاب، فدنا يونس عليه السلام من بلدهم بعد ثلاثة أيام ليعلم كيف حالهم، فرأى من البعيد أن البلد معمور كما كان وأهله أحياء فاستحيا وقال: قد كنت قلت لهم: إن العذاب ينزل عليكم بعد ثلاثة أيام، فلم ينزل، فذهب ولم يعلم أنه قد نزل عليهم ورفع عنهم، فسار حتى أتى سفينة وركبها، فلما ركبها وقفت السفينة فبالغوا في إجرائها فلم تجر، فقال الملاحون: هنا عبد آبق فقرعوا بين أهل السفينة فخرجت القرعة على يونس، فقال: أنا الآبق فألقى نفسه في البحر، فالتقمه حوت بأمر الله، وأمره الله أن يحفظه، فلبث في بطنه وسار به إلى النيل ثم إلى بحر فارس، ثم إلى دجلة فقال: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]، أي: أنا من الظالمين بخروجي من بين قومي قبل أن تأذن لي به، فاستجاب الله له وأمر الحوت بإلقائه إلى أرض نصيبين بلدة من بلاد الشام»[(١)].

الحديث الثاني: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ رضي الله عنه قَالَ: «**صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ** صلى الله عليه وسلم **: الصُّبْحَ بِمَكَّةَ فَاسْتَفْتَحَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى جَاءَ ذِكْرُ مُوسَى، وَهَارُونَ أَوْ ذِكْرُ عِيسَى - مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ يَشُكُّ - أَوِ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ أَخَذَتِ النَّبِيَّ** صلى الله عليه وسلم **سَعْلَةٌ فَرَكَعَ. وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ السَّائِبِ، حَاضِرٌ ذَلِكَ**»[(٢)].

قوله: (**ابن عباد يشك**) أي: محمد بن عَباد المذكور شكّ بين ذكر موسى وهارون وبين ذكر موسى وعيسى. قوله: (**أو اختلفوا**) أي: الرواةُ، منهم مَن قال: حتى إذا جاء ذكر مُوسى وهارون أخذت النبيَّ صلى الله عليه وسلم سَعْلة، ومنهم من قال: حتى إذا جاء ذكر

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ٢٢٩٢) باختصار.

(٢) صحيح: مسلم (١/ ٤٥٥)، والنسائي (٢/ ١٠٠٧) وأحمد (١٥٣٩٣)، وذكره البخاري معلقًا (١/ ١٥٤).

موسى وعيسى أخذت النبيَّ ﷺ سَعْلَة، والسَّعْلة- بفتح السن وضمها - من السُّعَالِ. قوله: (فحذفَ) أي: ترك بقية القراءة، وحذف الشيء: إسقاطه»[١].

ويؤخذ من الحديث:

١- استحباب القراءة الطويلة في صلاة الصبح ولكن على قدر حال الجماعة[٢].

٢- جواز قطع القراءة، وهذا لا خلاف فيه ولا كراهة إن كان القطع لعذر، وإن لم يكن عذر فلا كراهة أيضًا،وهذا مذهب الجمهور، وعن مالك في المشهور: كراهته[٣].

٣- جواز القراءة ببعض السورة[٤].

٤- فضائل سورة المؤمنون.

٥- فضائل سور مخصوصة من القرآن.

سورة السجدة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْجُمُعَةِ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةَ، وَ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾».

وفي رواية لمسلم: «كَانَ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ: بِـ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى، وَفِي الثَّانِيَةِ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾»[٥].

«قوله: (الم تنزيل): بضم اللام على الحكاية،وفي رواية زاد السجدة وهو بالنصب، قوله: (وهل أتى على الإنسان) وفي رواية زاد (حين من الدهر): والمراد أن يقرأ في كل ركعة

---

(١) «شرح سنن أبي داود» للعيني(٣/ ١٩١) باختصار.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢/ ٨٩١)، ومسلم (٢/ ٨٨٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٠٠٨٥).

بسورة وكذا بينه مسلم، وفيه دليل على استحباب قراءة هاتين السورتين في هذه الصلاة من هذا اليوم لما تشعر الصيغة به من مواظبته ﷺ على ذلك أو إكثاره»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- استحباب قراءة السجدة والإنسان في صلاة الفجر يوم الجمعة.

٢- حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل كل أحوال النبي ﷺ وذلك لدقتهم وأمانتهم.

٣- فضائل سور معينة من القرآن.

سورة الصافات

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَأْمُرُنَا بِالتَّخْفِيفِ، وَإِنْ كَانَ لَيَؤُمُّنَا فِي الْفَجْرِ بِالصَّافَّاتِ**»[(٢)].

قال ابن رجب رحمه الله: «والمراد: أن التخفيف المأمور به هو ما كان يفعله، ومن كان يفهم أنه كان يفعل خلاف ما أمر به فقد وهم»[(٣)].

وقال الشيخ العظيم آبادي رحمه الله: «وهذا يدل على أن الذي أمر به هو الذي فعله فإنه ﷺ أمر أصحابه أن يصلوا مثل صلاته ولهذا صلى على المنبر وقال إنما فعلت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي وقال مالك بن الحويرث وصاحبه: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»: وذلك أنه ما من فعل في الغالب إلا ويسمى خفيفًا بالنسبة إلى ما هو أطول منه وطويلًا بالنسبة إلى ما هو أخف منه فلا يمكن تحديد التخفيف المأمور به في الصلاة باللغة

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٣٧٨) باختصار.

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (٢/ ٨٢٦)، وأحمد [٤٧٩٦]، وابن خزيمة (٣/ ١٦٠٦). وصححه الشيخ الألباني في «صحيح ابن حبان» برقم [١٨١٧].

(٣) «فتح الباري» لابن رجب (٦/ ٢٢٠) باختصار.

ولا بالعرف؛لأنه ليس له عادة في العرف كالقبض والإحياء والاصطياد حتى يرجع فيه إليه، بل هو من العبادات التي يرجع في صفاتها ومقاديرها إلى الشارع كما يرجع إليه في أصلها،ولو جاز الرجوع فيه إلى العرف لاختلفت الصلاة الشرعية اختلافًا متباينًا لا ينضبط، ولكان لكل أهل عصر ومصر، بل لأهل الدرب والسكة وكل محل، لكل طائفة غرض وعرف وإرادة في مقدار الصلاة يخالف عرف غيرهم، وهذا يفضي إلى تغيير الشريعة وجعل السنة تابعة لأهواء الناس فلا يرجع في التخفيف المأمور به إلا إلى فعله ﷺ فإنه كان يصلي وراءه الضعيف والكبير وذو الحاجة وقد أمرنا بالتخفيف لأجلهم فالذي كان يفعله هو التخفيف إذ من المحال أن يأمر بأمر ويعلله بعلة ثم يفعل خلافه مع وجود تلك العلة إلا أن يكون منسوخًا»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل سورة الصافات.

٢- فضائل سور معينة من القرآن.

٣- أن التخفيف في الصلاة هو فعله ﷺ.

٤- استحباب تخفيف الإمام في صلاته بالمأمومين، وأن مسألة التخفيف مسألة نسبية.

سورة محمد

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «قَرَأَ بِهِمْ فِي المَغْرِبِ بِـ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾»[(٢)].

---

(١) «عون المعبود» (٣/ ٧٧) باختصار.

(٢) صحيح: أخرجه ابن حبان (٥/ ١٨٣٥)، والطبراني في «الصغير» (١/ ١١٧)، و«المستدرك» (١/ ١٨٦٢). وصححه الشيخ الألباني في «صحيح ابن حبان» برقم [١٨٣٥].

قلت: وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قرأ بقصار المفصل وطوالها وغيرها من السور الطويلة في صلاة المغرب، وهذا يدل على الجواز والتنويع.

سورة الفتح

الحديث الأول: عنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنهما، «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا، فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ، نَزَرْتَ رَسُولَ الله ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ لاَ يُجِيبُكَ، قَالَ عُمَرُ: فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ المُسْلِمِينَ، وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ، فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي، قَالَ: فَقُلْتُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ، وَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: **لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾**»[1].

«قوله: (**كان يسير في بعض أسفاره**): هو سفر الحديبية، (**فسأله عمر عن شيء فلم يجبه**): لاشتغاله ﷺ بالوحي، (**ثم سأله**): ثانيًا، (**فلم يجبه، ثم سأله**): ثالثًا، (**فلم يجبه**): ولعله ظن أنه لم يسمعه (**فقال عمر: ثكلتك**)، أي فقدتك (**أمك**) يا (**عمر**) فهو منادى بحذف الياء، وثبتت في رواية: دعا على نفسه بسبب ما وقع منه من الإلحاح خوف غضبه وحرمان فائدته. قال أبو عمر فما غضب عالم إلا حرمت فائدته أحد، (**نزرت رسول الله ﷺ**) أي ألححت عليه وبالغت في السؤال، أو راجعته أو أتيته بما يكره من سؤالك. وفي رواية بتشديد الزاي، وهو على المبالغة، أي أقللت كلامه إذ سألته ما لا يجب أن يجيب عنه، (**ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك**) ففيه أن سكوت العالم يوجب على المتعلم ترك الإلحاح عليه، وإن له أن يسكت عما لا يريد أن يجيب فيه (**قرآن فما نشبت**):

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥/ ٤١٧٧)، والترمذي (٥/ ٣٢٦٢).

فما لبثت وما تعلقت بشيء (**فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن**) قال أبو عمر: أرى أنه ﷺ أرسل إلى عمر يؤنسه، ويدل على منزلته عنده (**قال**) عمر: (**فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال**): بعد رد السلام، (**لقد أنزلت علي هذه الليلة سورة لهي**) بلام التأكيد، (**أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**) لما فيها من البشارة بالمغفرة والفتح وغيرهما، وأفعل قد لا يراد بها المفاضلة،ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١].

قال ابن عباس وأنس والبراء: هو فتح الحديبية ووقوع الصلح. قال الحافظ: فإن الفتح لغة: فتح المغلق، والصلح كان مغلقًا حتى فتحه الله، وكان من أسباب فتحه صد المسلمين عن البيت، فكانت الصورة الظاهرة ضيمًا للمسلمين، والباطنة عزًا لهم، فإن الناس للأمن الذي وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير، وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك إلا خفية فظهر من كان يخفي إسلامه، فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة، وقيل: هو فتح مكة، نزلت مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها، وأتي به ماضيا لتحقق وقوعه، وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به ما لا يخفى، وقيل: المعنى قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك قابلا من الفتاحة وهي الحكومة، والحق أنه يختلف باختلاف المراد من الآيات فالمراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، فتح الحديبية لما ترتب على الصلح من الأمن ورفع الحرب، وتمكن من كان يخشى الدخول»[(١)].

ويؤخذ من الحديث[(٢)]:

١- أن العالم إذا سئل عما لا يريد الجواب فيه إن سكت ولا يجيب بنعم ولا بلا، ورب كلام جوابه السكوت.

(١) «شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك» (٢/ ١٨) باختصار وتصرف.

(٢) «الاستذكار» (٢/ ٤٩٧) باختصار.

٢- وفيه من الأدب أن سكوت العالم عن الجواب يوجب على المتعلم ترك الإلحاح عليه.

٣- فيه الندم على إيذاء العالم والإلحاح عليه خوف غضبه وحرمان فائدته في المستقبل وقل ما أغضب أحد عالما إلا حرم الفائدة منه.

٤- ما كان عليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من التقوى وخوف الله تعالى لأنه خشي أن يكون عاصيا لسؤاله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبه والمعلوم أن سكوت العالم عن الجواب مع علمه به دليل على كراهة ذلك السؤال

٥- وفيه ما يدل على أن السكوت عن السائل يعز عليه وهذا موجود في طبائع الناس ولهذا أرسل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر يؤنسه.

٦- وفي ذلك ما يدل على منزلة عمر عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وموضعه من قلبه.

٧- وفيه أن غفران الذنوب خير للمؤمنين مما طلعت عليه الشمس لو أعطي ذلك وذلك تحقير منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدنيا وتعظيم للآخرة وهكذا ينبغي للعالم أن يحقر ما حقر الله ويعظم ما عظم الله.

٨- فضيلة سورة الفتح.

الحديث الثاني: وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾. قَالَ: الْحُدَيْبِيَةُ قَالَ أَصْحَابُهُ: هَنِيئًا مَرِيئًا، فَمَا لَنَا؟ فَأَنْزَلَ الله: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ قَالَ شُعْبَةُ: فَقَدِمْتُ الكُوفَةَ، فَحَدَّثْتُ بِهَذَا كُلِّهِ عَنْ قَتَادَةَ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ أَمَّا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾. فَعَنْ أَنَسٍ وَأَمَّا هَنِيئًا مَرِيئًا، فَعَنْ عِكْرِمَةَ[1].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥/ ٤١٧٢).

«قوله: (**قال: الحديبية**): أي: قال أنس: الفتح في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١]. هو في الحديبية. قوله: (**قال أصحابه**) أي: أصحاب رسول الله ﷺ. قوله: (**هنيئًا**) أي: لا إثم فيه. قوله: (**مريئًا**) أي: لا داء فيه. يقال: هنأني الطعام ومرأني. وإذا لم يذكر هنأني يقول: امرأني، بالهمزة. قاله أبو عبيد الهروي، وقال ابن فارس: يقال مرأني الطعام وأمرأني أي: انهضم، وذكر ابن الأعرابي أنه لا يقال: مرأني. قوله: (**فما لنا**): من قول الصحابة أيضًا. قوله: (**قال شعبة: فقدمت الكوفة**) إلى آخره، إشارة إلى أن بعض الحديث عند قتادة عن أنس، وبعضه عنده عن عكرمة»[(١)].

سورة ق والقمر

الحديث الأول: سَأَلَ عُمَرُ بْنَ الْخَطَّابِ، أَبَا وَاقِدٍ اللَّيْثِيَّ رضي الله عنهما: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟ فَقَالَ: «**كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾**، وَ﴿**ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾**»[(٢)].

«قوله: (**ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ**): في الأضحى والفطر قال كان يقرأ بـ:(**قاف والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر**)، يحتمل سؤال عمر رضي الله عنه مع جلالته لأبي واقد عن قراءة رسول الله ﷺ في العيدين ليعلم إن كان عنده من ذلك علم وإلا أنبأه به، ويحتمل أن يكون على مذهب من قال إن القراءة في العيدين تكون سرًا، وهو قول شاذ روي عن علي رضي الله عنه، ويحتمل أن يكون عمر نسي ذلك أو أراد عام بعينه والله أعلم بما كان من ذلك وموضع عمر من رسول الله ﷺ معروف وأنه كان من أولي الأحلام والنهى الذين كانوا يلونه والله أعلم»[(٣)].

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٧/ ٢٢٢) باختصار وتصرف.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢/ ٨٩١)، وابن حبان (٧/ ٢٨٢٠).

(٣) «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (١٦/ ٣٢٨) باختصار.

الحديث الثاني: وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِـ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، وَكَانَ صَلَاتُهُ بَعْدُ تَخْفِيفًا**»(١).

قال ابن رجب: «فصرح بأن تخفيفه هو قراءته بهذه السورة. وعن إبراهيم التيمي، قال: كان أَبِي ترك الصلاة معنا، قال: إنكم تخففون. قلت: فأين قول النبي ﷺ: (**إن فيكم الكبير والضعيف وذا الحاجة؟**) فقال: قد سمعت عبد الله بن مسعود يقول ذلك، ثم صلى ثلاثة أضعاف ما تصلون.

وعن إبراهيم التيمي، عن أبيه، أنه كان يتخلف عن الصلاة، فقيل له. فقال: إنكم تخففون. فقيل: أليس قد كان يؤمر بذلك؟ قال: إن الذي كان عليهم خفيفا عليكم ثقيل.

واعلم؛ أن التخفيف أمر نسبي، فقد تكون الصلاة خفيفة بالنسبة إلى ما هو أخف منها، فالتخفيف المأمور به الأئمة هو الذي كان النبي ﷺ يفعله إذا أمّ، فالنقص منه ليس بتخفيف مشروع، والزيادة عليه إن كان مما فعله الخلفاء الراشدون كتطويل القرءة في صلاة الصبح، على ما كان يفعله - أحيانًا - أبو بكر وعمر فليس بمكروه، نص عليه الإمام أحمد وغيره»(٢).

الحديث الثالث: عَنْ أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، قَالَتْ: «**لَقَدْ كَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاحِدًا، سَنَتَيْنِ أَوْ سَنَةً وَبَعْضَ سَنَةٍ، وَمَا أَخَذْتُ ﷺ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذَا خَطَبَ النَّاسَ**»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٤٥٨)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٩٣٨).

(٢) «فتح الباري» لابن رجب (٦/ ٢٢١) باختصار.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢/ ٨٧٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٣٤٥).

«قولها: (**مَا أَخَذْتُ** ﷺ) أي: سورة ﷺ، (**إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ**) أي: من فمه المباركة، (**يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ**): وإنما اختارها من بين السور لاشتمالها على البعث والموت، والمواعظ الشديدة، والزواجر الأكيدة، وفيه دليل لاستحباب قراءة (سورة ق) أو بعضها في كل جمعة. قوله: (**وكان تنورنا وتنور رسول الله واحدًا**): وأشارت به إلى شدة حفظها ومعرفتها بأحوال النبي ﷺ، وقربها من منزله، والتنور التي تخبز فيها الخبز»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضيلة سورة (ق).

٢- استحباب قراءة سورة (ق) أو جزء منها يوم الجمعة على المنبر.

٣- فضيلة أم هشام.

سورة الطور

الحديث الأول: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، وَكَانَ جَاءَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ قَالَ: «**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ**»[(٢)].

مرت أحاديث قريبة منه.

الحديث الثاني: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي قَالَ: «**طُوفِي مِنْ وَرَاءِ النَّاسِ وَأَنْتِ رَاكِبَةٌ**» فَطُفْتُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ يَقْرَأُ بِالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ»[(٣)].

---

(١) «شرح أبي داود» للعيني (٤/ ٤٤٢) بتصرف.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣/ ٣٠٥٠).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١/ ٤٦٤)، مسلم (٢/ ١٢٧٦)، وأبو داود (٢/ ١٨٨٢).

قولها: (**شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنِّي أَشْتَكِي**): أي أخبرته أني مصابة بمرض يمنعني من المشي في الطواف، (**قال طوفي من وراء الناس وأنت راكبة**): أي فرخص لي أن أطوف خلف الناس راكبة على بعيري، (**فطفت**): أي فطفت راكبة على البعير كما أذن لي النبي ﷺ (**ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ: بـ(وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ)**): والحال أن رسول الله ﷺ كان يصلي في ذلك الوقت إلى جوار الكعبة، ويقرأ هذه السورة المذكورة.

ويؤخذ من الحديث[١]:

١- جواز إدخال البعير إلى المسجد إذا احتاج صاحبه إلى ذلك لعذر شرعي من مرض أو عجز أو نحوه.

٢- جواز الطواف راكبًا على بعير وغيره لمن عجز عن المشي، وقد استغنى الناس في عصرنا هذا عن الطواف على البعير بالطواف على أشياء أخرى كالسيارات الصغيرة والكراسي مثلًا.

٣- طواف النساء بالبيت من وراء الرجال لعلة التزاحم والتناطح. قال بعض العلماء: طواف النساء من وراء الرجال هي السنة؛ لأن الطواف صلاة ومن سنة النساء في الصلاة أن يكن خلف الرجال.

٤- وفيه أن راكب الدابة ينبغي له أن يتجنب ممر الناس ما استطاع.

٥- ينبغي أن تخرج النساء إلى حواشي الطرق.

٦- فضيلة سورة الطور.

---

(١) «شرح البخاري» لابن بطال (٢/ ١١٢) بتصرف.

سورة النجم

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ بِالنَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ وَالجِنُّ وَالإِنْسُ»[١].

(وإنما سجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه السجدة امتثالًا لأمر الله سبحانه بالسجود، وشكرًا للنعم العظيمة المعدودة في أول السورة من أنه لا ينطق عن الهوى، وقربه من الله تعالى، وأراءته إياه من آياته الكبرى.أو كان سجوده للتلاوة. وفيه دليل على مشروعية السجدة في المفصل، خلافًا لمالك في ظاهر الرواية عنه. (**وسجد معه المسلمون**): متابعة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في امتثال الأمر وإتيان الشكر. (**والمشركون**): أي الذين كانوا عنده. قال النووي: إنه محمول على من كان حاضرًا قراءته. وفيه مشروعية السجود لمن حضر عند القاري للآية التي فيها السجدة. وإنما سجد المشركون لاستماع أسماء آلهتهم من اللات والعزى ومنات. أو لما ظهر من سطوة سلطان العز والجبروت وسطوع الأنوار والكبرياء من توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وصدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى لم يبق لهم شك ولا اختيار ولا أثر جحود واستكبار إلا من أشقى القوم وأطغاهم وأعتاهم، وهو الذي أخذ كفًا من الحصى أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا. (**والجن**): كان ابن عباس استند في ذلك إلى أخبار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما مشافهة له وإما بواسطة؛ لأنه لم يحضر القصة لصغره،فهو من الأمور التي لا يطلع الإنسان عليها إلا بتوقيف، وتجويز أنه كشف له عن ذلك بعيد؛ لأنه لم يحضرها قطعًا. (**والإنس**): إجمال بعد تفصيل أو تفصيل بعد إجمال؛ لأن كلًا من المسلمين والمشركين شامل للإنس والجن. قال الكرماني: سجد المشركون مع المسلمين؛ لأنها أول سجدة نزلت، فأرادوا معارضة المسلمين بالسجود لمعبودهم،

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢/ ١٠٧١).

أو وقع ذلك منهم بلا قصد، أو خافوا في ذلك المجلس من مخالفتهم. انتهى. وفي هذا الأخير نظر؛ لأن المسلمين حينئذٍ هم الذين كانوا خائفين من المشركين لا العكس»[(١)].

قلت: وليعلم أن قصة الغرانيق قصة مكذوبة وهي لما قَرَأَ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٩-٢٠] أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِيهَا عِنْدَ ذَلِكَ ذِكْرَ الطَّوَاغِيتِ فَقَالَ: «**وَإِنَّهُنَّ لَمِنَ الْغَرَانِيقِ الْعُلَى، وَإِنَّ شَفَاعَتَهُمْ لَتُرْتَجَى**»، وَذَلِكَ مِنْ سَجْعِ الشَّيْطَانِ وَفِتْنَتِهِ، فَوَقَعَتْ هَاتَانِ الْكَلِمَتَانِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُشْرِكٍ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ وَاسْتَبْشَرُوا بِهَا، وَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ رَجَعَ إِلَى دِينِهِ الْأَوَّلِ وَدِينِ قَوْمِهِ... وسجدوا.

فإن هذا الخبر موضوع، وهو ينافي العصمة، وقد قال العلامة الألباني في كتابه نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق بأنه باطل وموضوع. فلا يغرنك كلام الحافظ في هذا الحديث[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- استحباب السجود للتلاوة إذا مر بسجدة تلاوة.

٢- يستحب للمستمعين السجود تبعا للقارئ.

٣- جواز السجود في المفصل.

٤- جمال القرآن وروعته وحسن تأليفه أدى لأن يسجد المشركون لما سمعوه. وهذا لشدة إعجابهم به.

٥- شدة اتباع الصحابة للنبي ﷺ حيث كان يفعلون كل ما يفعله النبي ﷺ إلا ما اختص به دونهم.

---

(١) «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٣/ ٤٣٢) بتصرف.

(٢) راجع كتاب: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».

٦- فضيلة سورة النجم.

٧- لا يشترط الوضوء واستقبال القبلة في سجود التلاوة في أصح أقوال أهل العلم.

سورة الرحمن

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: «**لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الجِنِّ لَيْلَةَ الجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ، كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ**»(١).

قوله: (**فسكتوا**) أي: مستمعين. (**قال: لقد قرأتها على الجن، ليلة الجن**) أي: ليلة اجتماعهم به قَالَ الطِّيبِيّ لَيْلَة الْجِنّ الَّتِي جَاءَت الْجِنّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذهبوا بِهِ الى قَوْمهم ليتعلموا مِنْهُ الدّين كما في رواية، (**فكانوا**) أي: الجن (**أحسن مردودًا**): أي: جوابًا وردًا لما تضمنه الاستفهام التقريري المتكرر فيها بـ«**أي**» (**منكم**): قال الطيبي: المردود بمعنى الرد كالمخلوق والمعقول نزل سكوتهم وإنصاتهم للاستماع منزلة حسن الرد، فجاء بأفعل التفضيل، ويوضحه كلام ابن الملك حيث قال: نزل سكوتهم من حيث اعترافهم بأن في الجن والإنس من هو مكذب بآلاء الله، وكذلك في الجن من يعترف بذلك أيضًا، لكن نفيهم التكذيب عن أنفسهم باللفظ أيضًا أدل على الإجابة وقبول ما جاء به الرسول من سكوت الصحابة أجمعين. (**كنت**) أي: تلك الليلة (**كلما أتيت على قوله**)، أي: على قراءة قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:١٣]: قال ابن الملك: الخطاب للإنس والجن، أي: أي نعمة مما أنعم الله بها عليكم تكذبون وتجحدون نعمه بترك شكره، وتكذيب رسله، وعصيان أمره (**قالوا: لا بشيء**): متعلق بـ«**نكذب**» الآتي (**من نعمك ربنا**): بالنصب على حذف النداء (**نكذب**): أي لا نكذب بشيء منها (**فلك**

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٢٩١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٢١٥٠].

الحمد) أي: على نعمك الظاهرة والباطنة، ومن أهمها نعمة الإيمان والقرآن، المخلصتين من النيران، الموجبتين لدرجات الجنان»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضل سورة الرحمن.

٢- تصديق الجن وإيمانهم بنعم الله وآلائه لما قرأ عليهم النبي ﷺ سورة الرحمن.

٣- استحباب قول: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ، عند قراءة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

سورة الواقعة

مر في سورة هود، أنها من السور التي شيبت النبي ﷺ.

وعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ كَنَحْوٍ مِنْ صَلَاتِكُمُ الَّتِي تُصَلُّونَ الْيَوْمَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُخَفِّفُ، كَانَتْ صَلَاتُهُ أَخَفَّ مِنْ صَلَاتِكُمْ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ الْوَاقِعَةَ وَنَحْوَهَا مِنَ السُّوَرِ**»[(٢)].

قلت: قد مرت أحديث قريبة منه، كما في الأعراف، و(ق)، والطور.

ويؤخذ من الحديث:

١- فضيلة سورة الواقعة.

٢- استحباب التخفيف في الصلاة بحسب الحال.

٣- أن فعله ﷺ هو التخفيف.

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٢/ ٨٦٢) باختصار وتصرف.

(٢) صحيح لغيره: أخرجه أحمد [٢٠٩٩٥]، تحقيق شعيب الأرنؤوط للمسند [٢٠٩٩٥].

٤- جواز التطويل والتخفيف. وأنه أمر نسبي.

سور المفصّل

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**»(١).

قال البيهقي: «يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالسَّبْعِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ السَّبْعُ الطِّوَالُ، وَبِالْمِئِينَ كُلُّ سُورَةٍ بَلَغَتْ مِائَةَ آيَةٍ فَصَاعِدًا وَالْمَثَانِي فَاتِحَةُ الْكِتَابِ لِأَنَّهَا تُثَنَّى فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَقِيلَ هِيَ كُلُّ سُورَةٍ دُونَ الْمِئِينَ وَفَوْقَ الْمُفَصَّلِ كَأَنَّ الْمِئِينَ جُعِلَتْ مَبَادِئَ وَالَّتِي تَلِيهَا مَثَانِيَ»(٢).

«والمفصل على وزان معظم: هو السورة الأخيرة من القرآن الكريم، مبتدأة من سورة الحجرات على الأصح، وسميت بذلك؛ لكثرة الفصل فيها بين السور بعضها وبعض من أجل قصرها.

وقيل: سميت بذلك لقلة المنسوخ فيها، فقولها قول فصل: لا نسخ فيه ولا نقض»(٣).

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل سور المئين والمفصل والفاتحة.

٢- فضائل سور معينة من القرآن.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد [١٦٩٨١]، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٨٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [٢١٩٢].

(٢) «السنن الصغير» للبيهقي (١/ ٣٤١).

(٣) «مناهل العرفان في علوم القرآن»، للزرقاني (١/ ١٩٨).

سورة الجمعة والمنافقون

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةَ، وَ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾، وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ سُورَةَ الْجُمُعَةِ، وَالْمُنَافِقِينَ»[(١)].

«قوله: (كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ سُورَةَ): في الأولى (وَالْمُنَافِقِينَ): في الثانية أي بعد الفاتحة فيهما، وإنما خصها بهما لما في سورة الجمعة من الحث على حضورها والسعي إليهما وبيان فضيلة بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر الأربع الحكم في بعثته من أنه يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب، والحكمة، والحث على ذكر الله. ولما في سورة المنافقين من توبيخ أهل النفاق وحثهم على التوبة ودعائهم إلى طلب الاستغفار من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لأن المنافقين يكثر اجتماعهم في صلاتها؛ ولما في آخرها من الوعظ، والحث على الصدقة»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضيلة سور السجدة والإنسان والجمعة والمنافقون.

٢- استحباب قراءة سورة السجدة في الركعة الأولى والإنسان في الثانية في صلاة الفجر.

٣- استحباب قراءة سورة الجمعة في الركعة الأولى والمنافقون في الثانية في صلاة الجمعة.

---

(١) صحيح: مسلم (٢/ ٨٧٩)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٢٤١٨) وأحمد [٣٤٠٣].

(٢) «سبل السلام» (١/ ٤٠٧).

سورة تبارك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى غُفِرَ لَهُ: تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**»(١).

«قوله: (**إن سورة**) أي: عظمية (**في القرآن**) أي: كائنة فيه، وفي الترمذي من القرآن (ثلاثون آية) خبر مبتدأ محذوف أي هي ثلاثون، والجملة صفة لاسم إن (**شفعت**): بالتخفيف خبر إن قاله الطيبي. وقيل: خبر إن هو «**ثلاثون**» وقوله: «**شفعت**» خبر ثان (**لرجل حتى غفر له**): متعلق بشفعت وهو يحتمل أن يكون بمعنى المضيّ في الخبر يعني كان رجل يقرؤها ويعظم قدرها، فلما مات شفعت له حتى دفع عنه عذابه. ويحتمل أن يكون الماضي بمعنى المستقبل أي تشفع لمن يقرؤها في القبر أو يوم القيامة كذا في المرقاة. وقال في اللمعات: إن حمل قوله «**شفعت لرجل**» على معنى المضي كما هو ظاهر كان إخبارًا عن الغيب، وأن يجعل بمعنى تشفع، **كما في قوله تعالى**: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٤٤]، كان تحريضًا على المواظبة عليها، ويحمل رجل على العموم كما في تمرة خير من جرادة (**وهي تبارك الذي بيده الملك**) أي إلى آخرها وفي سوق الكلام على الإبهام ثم التفسير تفخيم للسورة، إذ لو قيل: إن سورة تبارك شفعت لم تكن بهذه المنزلة. وقد استدل بهذا الحديث من قال البسملة ليست من السورة وآية تامة منها، لأن كونها ثلاثين آية إنما يصح على تقدير كونها آية تامة منها، والحال إنها ثلاثون من غير كونها آية تامة منها فهي إما ليست بآية منها كمذهب أبي حنيفة ومالك والأكثرين، وإما ليست بآية تامة بل هي جزء من الآية الأولى كرواية في مذهب الشافعي»(٢).

---

(١) حسن: أخرجه ابن ماجه (٢/ ٣٧٨٦)، وابن حبان (٣/ ٧٨٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» [١٤٧٤].

(٢) «مرعاة المفاتيح» (٧/ ٢١٧٢).

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل سورة تبارك.

٢- فضائل سور مخصوصة من القرآن.

٣- القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة.

٤- سورة تبارك شفعت لصاحبها، والعبرة بالعموم لا بالخصوص، فمن فعل فعله صار مثله.

٥- التحريض على حفظ سورة تبارك.

سورة المرسلات

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ أُمِّ الفَضْلِ بِنْتِ الحَارِثِ، قَالَتْ: «**سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا، ثُمَّ مَا صَلَّى لَنَا بَعْدَهَا حَتَّى قَبَضَهُ الله**»[(١)].

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: (**يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا**): أَي أَحْيَانًا لبَيَان الْجَوَاز وإلا فالمستحب فِيهَا قِرَاءَة قصار الْمفصل وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد يُطِيل فِي الْمغرب الْقِرَاءَة لِأَن الصَّحَابَة كَانُوا كثير الْحِرْص على اسْتِمَاع الْقُرْآن مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقد يُطِيل الْقِرَاءَة للتعلم وَهَاتَانِ العلتان مَفْقُودتان الْيَوْم»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضال سورة المرسلات.

٢- فضائل سور مخصوصة من القرآن.

٣- استحباب قراءة سور مخصوصة في الصلوات.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٢٩)، و ابن ماجه (١/ ٨٣١)، وأبو داود (٢/ ١٨٨٢).

(٢) «شرح سنن ابن ماجه» (١/ ٦٠).

٤- استحباب قراءة سورة المرسلات في المغرب.

٥- أمانة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وحرصهم على نقل السنة.

سورة التكوير والانفطار والانشقاق

الحديث الأول: عَنِ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**»(١).

«قوله: (**من سره**) أي: أعجبه (**أن ينظر إلى يوم القيامة**) أي: أحواله وأن يطلع في أهواله (**كأنه رأي عين**) أي: فيترقى من علم اليقين إلى عين اليقين (**فليقرأ**: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١]) أي: لفت وألقيت في النار، وقال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ: أي لفت بمعنى رفعت، أو لف ضوءها، أو ألقيت عن فلكها، وفي الدر عن ابن عباس: أي أظلمت، وعن أبي صالح: نكست، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] أي: انشقت، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] أي انصدعت، والمراد هذه السور ; فإنها مشتملة على ذكر أحوال يوم القيامة وأهواله»(٢).

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل سور التكوير والانفطار والانشقاق.

٢- فضائل سور مخصوصة من القرآن.

٣- الحض على قراءة القرآن وتدبره.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٣٣٣)، وأحمد [٤٢٤]، وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٠٨١].

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٥٥٤٨).

٤- بيان شدة يوم القيامة وأهواله حتى يستعد له الإنسان.

الحديث الثاني: عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾».

وفي رواية قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»[(١)].

مرت أحاديث قريبة منه.

سورة الأعلى والغاشية

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِـ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، وَ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾، قَالَ: وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ»[(٢)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ....» فيه استحباب القراءة فيهما بهما وفي الحديث الآخر القراءة في العيد بقاف واقتربت، وكلاهما صحيح، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وقت يقرأ في الجمعة سورة الجمعة والمنافقين، وفي وقت سبح وهل أتاك، وفي وقت يقرأ في العيد قاف واقتربت، وفي وقت سبح وهل أتاك»[(٣)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل سور الأعلى والغاشية.

٢- استحباب قراءتهما في صلاة الجمعة والعيدين.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٤٥٦)، والنسائي (٢/ ٩٥١) واللفظ الثاني للنسائي.

(٢) صحيح: مسلم (٢/ ٨٧٨)، وأبو داود (١/ ١١٢٢)، والترمذي (٢/ ٥٣٣)، والنسائي (٣/ ١٤٢٤).

(٣) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٦/ ١٦٧).

٣- فضائل سور مخصوصة من القرآن.

٤- استحباب قراءة سور مخصوصة في صلوات مخصوصة.

سورة الشمس

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ بِـ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، وَأَشْبَاهِهَا مِنَ السُّوَرِ»[(١)].

قال الحافظ العراقي: «فيه استحباب القراءة في العشاء بأوساط المفصل؛ لأن السورة المذكورة منه وهو كذلك بالشمس وضحاها والضحى.

المراد «**بأشباهها من السور**»: والليل إذا يغشى وسبح اسم ربك الأعلى والضحى وإذا السماء انفطرت ونحو ذلك»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضل سورة الشمس.

٢- فضائل سور المفصل.

٣- استحباب قراءة سورة الشمس ونحوها من سور المفصل في العشاء.

سورة الضحى

عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَبًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «اشْتَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً - أَوْ لَيْلَتَيْنِ - فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ مَا أُرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾»[(٣)].

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٢/ ٩٩٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» [٩٩٩].

(٢) «طرح التثريب في شرح التقريب» (٢/ ٢٧٠).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٨٣)، وأحمد (١٨٨٠٤).

«قوله: (**اشتكى النبي** ﷺ)، أي: مرض، وكذلك: تَشَكَّى، (**فلم يقم**): من القيام أي: في الليل، وانتصاب ليلة على الظرفية[١].

(**فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ**) قيل: إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب وقيل بعض بنات عمه[٢].

وقوله: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحى، وبالليل إذا سجى وادلهمت ظلمته، على اعتناء الله برسوله ﷺ فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك، بل لم يزل يربيك أحسن تربية، ويعليك درجة بعد درجة.

﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: ما أبغضك منذ أحبك، فإن نفي الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحًا، إلا إذا تضمن ثبوت كمال، فهذه حال الرسول ﷺ الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درج الكمال، ودوام اعتناء الله به. فلم يزل ﷺ يصعد في درج المعالي ويمكن له الله دينه، وينصره على أعدائه، ويسدد له أحواله، حتى مات، وقد وصل إلى حال لا يصل إليها الأولون والآخرون، من الفضائل والنعم، وقرة العين، وسرور القلب. ثم بعد ذلك، لا تسأل عن حاله في الآخرة، من تفاصيل الإكرام، وأنواع الإنعام، ولذا قال: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة»[٣].

---

(١) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٧/ ١٧١).

(٢) «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٤٠٦).

(٣) «تفسير السعدي» ص[٩٢٨].

قلت: يؤخذ من الحديث:

١- إثبات نزول الوحي.

٢- فضل قيام الليل.

٣- رفق المسلم بنفسه إذا كان مريضًا بتركه ما تعود عليه من الأعمال المستحبة اقتداء بالنبي ﷺ، وأنه إن كان مواظبا عليه في حال الصحة يكتب له الأجر في حال المرض.

٤- بغض المشركين للنبي ﷺ وتمنيهم أن لا ينزل عليه الوحي.

٥- تسلية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنبيه ﷺ بعد قول المشركين، بإنزال سورة الضحى.

٦- اعتناء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بنبيه ﷺ وحبه له.

٧- فضيلة سورة الضحى.

سورة التين

عَنِ البَرَاء بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ فَقَرَأَ فِي العِشَاءِ فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ: بِـ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴾**»[(١)].

قال الشيخ بدر الدين العيني: «قوله: (**كان في سفر**)، وفي رواية الإسماعيلي (**كان في سفر فصلى العشاء ركعتين**). قوله: (**في إحدى الركعتين**) وفي رواية النسائي: (**في الركعة الأولى**) قوله: (**بالتين**) أي: بسورة التين. قال السفاقسي وغيره: هذه الأحاديث تدل على أنه لا توقيت في القراءة فيها، بل بحسب الحال. وعن مالك، يقرأ فيها أي في العشاء بالحاقة ونحوها. وقال أشهب: بوسط المفصل، وقرأ فيها عثمان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بالنجم، وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بالذين كفروا. وأبو هريرة بالعاديات. وقال أصحابنا: يقرأ في الفجر

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١/ ٧٦٧)، وأحمد [١٨٥٢٧].

أربعين آية سوى الفاتحة، وفي رواية: خمسين آية، وفي أخرى ستين إلى مائة. قال المشايخ: وهي أبين الروايات. قالوا: في الشتاء يقرأ مائة، وفي الصيف أربعين وفي الخريف خمسين أو ستين. وفي رواية الأصيلي: ينبغي أن يكون في الظهر دون الفجر والعصر قدر عشرين آية سوى الفاتحة»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- ثبوت الجهر بالقراءة في صلاة العشاء.

٢- التخفيف في القراءة في السفر لأنه مظنة المشقة.

٣- حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على نقل السنة ودقتهم في ذلك.

٤- فضائل سور المفصل ومنها التين.

٦- فضائل سور مخصوصة من القرآن.

٧- استحباب قراءة سور مخصوصة في صلوات مخصوصة.

سورة العلق

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ لأَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: «**فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ**

(١) «عمدة القاري» (٦/ ٢٩).

أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَالله مَا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ الله ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ الله عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ»[1].

«(الصَّالِحَةُ) الصادقة وهي التي يجري في اليقظة ما يوافقها. (فَلَقِ الصُّبْحِ) ضياؤه ونوره ويقال هذا في الشيء الواضح البين. (الخَلَاءُ) الانفراد. (بِغَارِ حِرَاءٍ) الغار هو النقب في الجبل وحراء اسم لجبل معروف في مكة. (يَنْزِعَ) يرجع. (مَا أَنَا بِقَارِئٍ) لا أعرف القراءة ولا أحسنها. (فَغَطَّنِي) ضمني وعصرني حتى حبس نفسي ومثله غتني. (الجَهْدَ) غاية وسعي. (أَرْسَلَنِي) أطلقني. (يَرْجُفُ فُؤَادُهُ) يخفق قلبه ويتحرك بشدة. (زَمِّلُونِي) لفوني وغطوني. (الرَّوْعُ) الفزع. (مَا يُخْزِيكَ) لا يذلك ولا يضيعك. (لَتَصِلُ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١/ ٣)، ومسلم (١/ ١٦٠).

الرَّحِمَ) تكرم القرابة وتواسيهم. **(وَتَحْمِلُ الكَلَّ)** تقو بشأن من لا يستقل بأمره ليتم وغيره وتتوسع بمن فيه ثقل

وغلاظة. **(وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ)** تتبرع بالمال لمن عدمه وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك. **(وَتَقْرِي الضَّيْفَ)** تهيء له القرى وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب. **(نَوَائِبِ الحَقِّ)** النوائب جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات وأضيفت إلى الحق لأنها تكون في الحق والباطل. **(تَنَصَّرَ)** ترك عبادة الأوثان واعتنق النصرانية. **(النَّامُوسُ)** هو صاحب السر والمراد جبريل عليه السلام سمي بذلك لاختصاصه بالوحي. **(فِيهَا فِيهَا جَذَعًا)** في حين ظهور نبوتك. **(فِيهَا جَذَعًا)** شاب والجذع في الأصل الصغير من البهائم ثم استعير للشاب من الإنسان. **(يَوْمُكَ)** يوم إخراجك أو يوم ظهور نبوتك وانتشار دينك. **(مؤزرًا)** قويًا من الأزر وهو القوة. **(يَنْشَبْ)** يلبث. **(وَفَتَرَ الوَحْيُ)** تأخر عن النزول مدة من الزمن»[(١)].

سورة البينة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِأُبَيٍّ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾**» قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَبَكَى[(٢)].

وفي رواية أخرى: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ القُرْآنَ**» قَالَ أُبَيٌّ: آللهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «**اللهُ سَمَّاكَ لِي**» فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي، قَالَ قَتَادَةُ: فَأُنْبِئْتُ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[(٣)].

---

(١) شرح د. مصطفى ديب البغا على البخاري.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥/ ٣٨٠٩)، ومسلم (١/ ٧٩٩)، والترمذي (٥/ ٣٧٩٢)، وأحمد [١٢٣١٩].

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٥٩)، ومسلم (١/ ٧٩٩)، والترمذي (٥/ ٣٧٩٢)، وأحمد [١٢٣١٩].

«قوله: (**إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن**): أي بالخصوص من بين الأقران (قال: آلله) بهمزتين الأولى للاستفهام وقلبت الثانية ألفا إبقاء للاستفهام ويجوز تسهيلها ويجوز الحذف للعلم بها، وهذا معنى قول الطيبي: آلله بالمد بلا حذف وبالحذف بلا مد (**سماني لك؟**): أي ذكرني باسمي لك، قال الطيبي: والمقصود التعجب إما هضما، أي أنى لي هذه المرتبة، وإما استلذاذا بهذه المنزلة الرفيعة (**قال: نعم، قال: وقد ذكرت**):أي أوقع ذلك والحال أني قد ذكرت على الخصوص أو بهذا الوجه المخصوص، قال الطيبي: تقرير للتعجب، (**فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي**)، أي جرى دمع عينيه، أي سرورًا وفرحًا بتسمية الله تعالى إياه في أمر القراءة أو خوفًا من العجز عن قيام شكر تلك النعمة، ووجه تخصيصه بذلك أنه بذل جهده في حفظ القرآن وما ينبغي له،ولما قيض له من الإمامة في هذا الشأن أمر الله نبيه ﷺ أن يقرأ عليه ليأخذ عنه ﷺ التلاوة كما أخذه نبي الله ﷺ عن جبريل عليه السلام، ثم يأخذه على هذا النمط الآخر عن الأول والخلف عن السلف، وقد أخذ عن أبي بشر كثيرون من التابعين، ثم عنهم من بعدهم، وهكذا فسرى فيه سر تلك القراءة عليه حتى سرى سره في الأمة إلى الساعة»[(١)].

ويؤخذ من الحديث[(٢)]:

١- استحباب القراءة على الحذاق وأهل العلم به وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه.

٢- المنقبة الشريفة لأبي ولا نعلم أن أحدا شاركه فيها.

٣- تخصيص قراءة لم يكن فلأنها وجيزة جامعة لقواعد كثيرة من أصول الدين ومهمات في الوعد والوعيد والإخلاص وتطهير القلوب، وكان الوقت يقتضي الاختصار.

٤- إن القرآن يطلق على الكل وعلى البعض إذ لم يعلم أنه ﷺ قرأ على أبي جميع القرآن.

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٥٥٤٨) باختصار وتصرف.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٥٥٤٨) باختصار وتصرف.

سورة الكوثر

وروينا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**» فَقَرَأَ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي** عَزَّوَجَلَّ، **عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ**».

زَادَ ابْنُ حُجْرٍ، فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي المَسْجِدِ. وَقَالَ: «**مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ**»(١).

«(**بَيْنَا**) قال الجوهري بينا فعلى أشبعت الفتحة فصارت ألفا وأصله بين قال وبينما بمعناه زيدت فيه ما تقول بينا نحن نرقبه أتانا أي أتانا بين أوقات رقبتنا إياه ثم حذف المضاف الذي هو أوقات قال وكان الأصمعي يخفض ما بعد بينا إذا صلح في موضعه بين وغيره يرفع ما بعد بينا وبينما على الابتداء والخبر (**بَيْنَ أَظْهُرِنَا**) أي بيننا (**أَغْفَى إِغْفَاءَةً**) أي نام نومة (**آنِفًا**) أي قريبًا (**شَانِئَكَ**) الشانئ المبغض (**ٱلْأَبْتَرُ**) الأبتر والمنقطع العقب وقيل المنقطع عن كل خير (**فَيُخْتَلَجُ**) أي ينتزع ويقتطع»(٢).

ويؤخذ من الحديث:

١- أن البسملة في أوائل السور من القرآن وهو قصد مسلم. والأمر فيه خلاف مبسوط في كتب الفقه.

٢- جواز النوم في المسجد.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٤٠٠)، وأبو داود (١/ ٧٨٤)، والنسائي (٢/ ٩٠٤).

(٢) شرح محمد فؤاد عبد الباقي على مسلم.

٣- وجواز نوم الإنسان بحضرة أصحابه.

٤- وفيه وأنه إذا رأى التابع من متبوعه تبسما أو غيره مما يقتضي حدوث أمر يستحب له أن يسأل عن سببه.

٥- إثبات الحوض والإيمان به واجب.

٦- أن أهل البدع لا يردون حوض النبي ﷺ، إنما يَرِدُه المتبعون لسنته.

٧- فضيلة سورة الكوثر.

٨- حرص النبي ﷺ على أمته.

قال الخطابي: فيه إشارة إلى قلة عدد من وقع لهم ذلك، وإنما وقع ذلك لبعض جفاة الأعراب، ولم يقع لأحد من الصحابة المشهورين. وإنما قاتلهم أبو بكر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم وسموا بالمرتدين[(١)].

سورة الأعلى، والكافرون، وقل هو الله أحد

عنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الوِتْرِ: بِـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فِي رَكْعَةٍ رَكْعَةٍ.

قال الترمذي: وَفِي البَابِ عَنْ عَلِيٍّ، وَعَائِشَةَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كذلك»[(٢)].

قلت: أي يوتر بثلاث ركعات يقرأ في الأولى بالأعلى، وفي الثانية بالكافرون، وفي الثالثة بالإخلاص.

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٢٨٦) بتصرف.

(٢) صحيح: الترمذي (٢/ ٤٦٢)، وأحمد [٢٧٢٠]، والنسائي (٣/ ١٧٣٠)، وابن حبان (٦/ ٢٤٣٦) وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» برقم [٢٤٣٦].

قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه،والذي اختاره أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم أن يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، يقرأ في كل ركعة من ذلك بسورة، وبه قال الحنفية[١].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل هذه السور.

٢- استحباب قراءتها في الوتر.

٣- فضائل سور مخصوصة من القرآن.

سورة الكافرون وقل هو الله أحد

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[٢].

«قوله: (قرأ في ركعتي الفجر) أي: سنة الصبح. قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، أي: كل سورة في ركعة»[٣].

الحديث الثاني: عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِنَوْفَلٍ: «اقْرَأْ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثُمَّ نَمْ، عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ»[٤].

---

(١) «تحفة الأحوذي» (٢/ ٤٥٨).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٧٢٦)، وأبو داود (٢/ ١٢٥٦)، والنسائي (٢/ ٩٤٥).

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٢/ ٨٤٢).

(٤) حسن: أخرجه أبو داود (٤/ ٥٠٥٥)، «مصنف ابن شيبة» (٥/ ٢٦٥٢٨)، وابن حبان (١٢/ ٥٥٢٦).وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٩٢].

«قوله: (اقرأ): ندبا سورة (**قل يا أيها الكافرون**) أي: السورة التي أولها ذلك (**ثم نم على خاتمتها**) أي: اقرأها بكمالها واجعلها خاتمة كلامك ثم نم (**فإنها**): أي السورة المذكورة (**براءة من الشرك**) أي: متضمنة للبراءة من الشرك وهو عبادة الأوثان لأن الجملتين الأوليين لنفي العبادة في الحال والأخيرتين لنفيها في الاستقبال»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديثين:

١- استحباب قراءة سورتي الكافرون والإخلاص في سنة الفجر.

٢- استحباب التخفيف في سنة الفجر.

٣- فضائل سورتي الكافرون والإخلاص.

٤- استحباب قراءة سورة الكافرون قبل النوم.

٥- قراءة سورة الكافرون قبل النوم براءة من الشرك، فإن مات الإنسان مات على التوحيد.

سورة العصر

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَبِي مَدِينَةَ الدَّارِمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ: كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«إِذَا الْتَقَيَا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، ثُمَّ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ»**[(٢)].

قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث فائدتان مما جرى عليه عمل سلفنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: **إحداهما:** التسليم عند الافتراق، **والأخرى:** نستفيدها من التزام الصحابة لها. وهي قراءة سورة (العصر) لأننا نعتقد أنهم أبعد الناس عن أن يحدثوا في الدين عبادة

(١) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (١/ ٣٦٧).

(٢) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٥١٢٤). وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٢٦٤٨].

يتقربون بها إلى الله، إلا أن يكون ذلك بتوقيف من رسول الله ﷺ قولا أو فعلا أو تقريرا، ولم لا وقد أثنى الله تبارك وتعالى عليهم أحسن الثناء، فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال ابن مسعود والحسن البصري: من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا وأقومها هديًا وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم»[(١)].

«وفي هذه السورة أقسم الله تعالى بالعصر وهو الزمان على أن الإنسان في خسارة وهلاك إلا من حقق أربع صفات:

١ - الإيمان: وهو معرفة الله تعالى، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام.

٢ - العمل الصالح: مثل الصلاة والزكاة والصيام والصدق وبرّ الوالدين.

٣ - التواصي بالحق: وهو الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح، والترغيب في ذلك.

٤ - التواصي بالصبر: وهو الصبر على فعل الطاعات، والصبر عند وقوع المصائب»[(٢)].

سورة النصر

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[(٣)].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» برقم [٢٦٤٨] باختصار.

(٢) «التوحيد للناشئة والمبتدئين» للشيخ: عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف (٥/ ٥١٢٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٤٩٦٧).

قال ابن دقيق العيد: «حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لفيه مبادرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى امتثال ما أمره الله تعالى به، وملازمته لذلك. وقوله: (**فسبح بحمد ربك**) فيه وجهان: **أحدهما**: أن يكون المراد أن يسبح بنفس الحمد لما يتضمنه الحمد من معنى التسبيح، الذي هو التنزيه، لاقتضاء الحمد نسبة الأفعال المحمود عليها إلى الله تعالى وحده. وفي ذلك نفي الشركة. **الوجه الثاني**: أن يكون المراد: فسبح متلبسا بالحمد. فتكون الباء دالة على الحال. وهذا يترجح. لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد سبح وحمد بقوله (**سبحانك وبحمدك**) وعلى مقتضى الوجه الأول: يكتفى بالحمد فقط. وكأن تسبيح الرسول على هذا الوجه دليل على ترجيح المعنى الثاني وقوله (**وبحمدك**) قيل معناه: وبحمدك سبحت. وهذا يحتمل أن يكون فيه حذف، أي بسبب حمد الله سبحت. ويكون المراد بالسبب ههنا: التوفيق والإعانة على التسبيح، واعتقاد معناه»[(١)].

قال الشيخ آل بسام: «(**سورة النصر**) نزلت قبيل وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فكان نزولها مؤذنا بوفاته، ولهذا ذكرت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها حينما نزلت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أخذ يتأولها بالعمل فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر فيها أنه إذا حصل فتح مكة، وصارت بلادًا سلامية، وعرف الناس دين الله وشرائعه، وأقبلوا عليه راغبين فيه، غير مكرهين، فإنك أيها الرسول تكون قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونفذت ما أمرك الله به. فلم يبق إلا أن تختم هذه العبادة الجليلة بالاستغفار، والتسبيح، والاستعداد للقاء الله تعالى. فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكثر ذلك في سجوده وركوعه فيقول: (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**). فهذه الكلمات، جمعت تنزيه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن النقائص، مع ذكر محامده. وبعد هذه التوسلات بهذه النعوت الجليلة، يطلب منه المغفرة، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة»[(٢)].

---

(١) «إحكام الأحكام» (١/ ١٢٤) باختصار.

(٢) «تيسير العلام شرح عمدة الأحكام» ص[٢١٥] باختصار.

الأحكام المستنبطة من الحديث[١]:

١- استحباب الإكثار من هذا الدعاء، في الركوع والسجود.

٢- أن تختم العبادات- وخصوصًا الصلاة- بالاستغفار، ليتدارك ما حصل فيها من النقص.

٣- أن أحسن ما يتوسل به إلى الله في قبول الدعاء، هو ذكر محامده وتنزيهه عن النقائص والعيوب.

٤- أن المتعبد بها، حرص على حفظ عباداته، فلا ينبغي أن يأمن من الزلل والنقص فيها.

٥- فضيلة الاستغفار، وطلبه في كل حال.

سورة قل هو الله أحد

الحديث الأول:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ»[٢].

«(رَجُلًا سَمِعَ رَجُلا) السامع هو أبو سعيد الخدري والقارئ قتادة ابن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. (يُرَدِّدُهَا) يكررها. (يَتَقَالُّهَا) يرى أن الاقتصار على قراءتها قليل. (لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ) ثوابها يضاعف بقدر ثواب ثلث القرآن وقيل غير ذلك»[٣].

---

(١) «تيسير العلام شرح عمدة الأحكام» ص[٢١٥] باختصار.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠١٣).

(٣) شرح د مصطفى البغا على البخاري.

قال الإمام بدر الدين العيني: قوله: (يَتقالُّها) أي: يراهَا قليلةً، يُقال: تقلّلَ الشيءَ واستقله وتقالّه وَقَاله إذا رآه قليلًا. قوله: (لتعدل ثلث القرآن) أي: لتُماثِلُ، وفيه أقوال، **أحدها:** أن القرآن العزيز لا يتجاوزُ ثلاثة أقسام، وهي الإرشادُ إلى معرفة ذات الله وتقديسه، ومَعْرفة أسمائه وصفاته، أو معرفة أفعاله وسُنته في عباده، فاشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثةَ وهو التقديس، وازَنَها رسولُ الله ﷺ بثلث القرآن، **والثاني:** أن القرآن الكريم أنزل أثلاثا، فثلث أحكام وثُلث وعد ووعيد، وثُلث أسماء وصفات، وقد جمع في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أحد الأثلاث وهي الصفات، **والثالث:** أن من عمِل بما تضمنه من الإقرار بالتوحيد والإذعان للخالق، كان كمنْ قرأ ثلث القرآن، **والرابع:** قال ذلك لشخص بعَيْنه قصدهُ رسولُ الله ﷺ، وهذا يقدح فيه أن رسول الله حَشَدَ الناسَ، وقال: (سأقرأ عليكم ثلث القرآن) فقرأ:[قل هو الله أحدٌ]، **والخامس:** أن الله تعالى يتفضلُ بتضعيف الثواب لقارِئها ويكون مُنتهى التضعيف ثلث ما يَستحقّ من الأجر على قراءة القرآن من دون تضعيف أجرٍ، **والسادسُ:** أنه إنما قال هذا للذي رَددها، فحصل له من ترادهاَ وتكرارها قدر تلاوته ثلث القرآن»[(١)].

قال ابن عقيل: «ولا يجوز أن يكون المعنى: من قرأها فله أجر قراءة ثلث القرآن، لقول رسول ﷺ: «**من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات**»[(٢)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضيلة سورة الإخلاص.

٢- أنها تعدل ثلاث القرآن، وفي معناه أقوال كما تقدم.

٣- عدم احتقار العمل الصالح ولو كان قليلا، فإن الله يضاعف ثوابه.

---

(١) «شرح سنن أبي داود» (٥/ ٣٧٩).

(٢) «كشف المشكل» (٢/ ١٦٧).

الحديث الثاني: وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟**» قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١).

وهو بنحو الأول.

الحديث الثالث: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «**الجَنَّةُ**»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَأُبَشِّرَهُ، فَأَثَرْتُ الْغَدَاءَ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَرِقْتُ أَنْ يَفُوتَنِي الْغَدَاءُ مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الرَّجُلِ فَوَجَدْتُهُ قَدْ ذَهَبَ»(٢).

«قوله: (**فسمع رجلًا يقرأ قل هو الله أحد**): يحتمل أن يكون في غير صلاة وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجبت يحتمل أن يريد بذلك تنبيه أبي هريرة ومن كان معه على فضلها وكثرة الثواب لقارئها، وقوله (**وفرقت أن يفوتني الغداء مع رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): قال ابن وضاح الغداء هاهنا صلاة الغداة ولا يعرف ذلك في كلام العرب وإنما الغداء ما يؤكل بالغداة، وكان أبو هريرة يلزم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشبع بطنه فكان يتغدى معه ويتعشى، أو لئلا أضعف عن العبادة لعدم وجود ما أتغدى به ; لأنه كان فقيرا جدا في أول أمره فخاف إن مر إلى الرجل يبشره أن يغيب عن الغداء معه فيفوته. (**ثم ذهبت إلى الرجل**) لأبشره فأجمع بين الأمرين (**فوجدته قد ذهب**)»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٨١١).

(٢) صحيح: أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٨)، وأحمد (٦/ ١٠٩١٩) وصححه الشيخ الأرنؤوط في «المسند».

(٣) «المنتقى شرح الموطأ» (١/ ٣٥٣) بتصرف.

الحديث الرابع: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ: بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لَا تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا، وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**»(١).

«(**كان رجل من الأنصار**) هو كلثوم بن هدم. قوله: (**سورة يقرؤها**) سورة، بالنصب لأنه مفعول: يفتتح، ويقرأ، في محل النصب لأنه صفة لسورة. قوله: (**مما يقرأ به**) أي: كلما افتتح بسورة افتتح بسورة: قل هو الله أحد، إذا أراد الافتتاح بسورة افتتح أولا بسورة: قل هو الله أحد. قوله: (**معها**) أي: مع قل هو الله أحد. قوله: (**فكان يصنع ذلك**)، أي: الذي ذكره مع أنه، إذا افتتح بسورة افتتح أولا بقل هو الله أحد. قوله: (**إنها لا تجزيك**) أي: إن السورة التي تفتتح بها لا تجزيك، قوله: (**أن تدعها**) أي: تتركها وتقرأ سورة أخرى غير قل هو الله أحد. قوله: (**أخبروه الخبر**)، وهو المعهود من ملازمته لقراءة سورة قل هو الله أحد. قوله: (**ما يأمرك به أصحابك**) معناه: ما يقول لك أصحابك، وفي قوله: (**ما يحملك؟**) استفهامية، ومعناه: ما الباعث لك في التزام ما لا يلزم من قراءة سورة: قل هو الله أحد، في كل ركعة؟ قوله: (**قال إني أحبها**) أي: أحب سورة: قل هو الله أحد، وهو جواب لسؤال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قوله: (**حبك إياها**) أي: حبك

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٥/ ٢٩٠١). وعلقه البخاري في «صحيحه» في باب الجمع بين السورتين في كل ركعة، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم [١٤٨٤].

لسورة قل هو الله أحد، والحب مصدر مضاف إلى فاعله، وارتفاعه بالابتداء وخبره.

قوله: (**أدخلك الجنة**) ومعناه: يدخلك الجنة، لأن الدخول في المستقبل، ولكنه لما كان محقق الوقوع فكأنه قد وقع فأخبر بلفظ الماضي»[(١)].

الحديث الخامس: وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»[(٢)].

وهو بنحو الذي قبله.

الحديث السادس: وعَنْ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**»[(٣)].

قوله: (**الأحد**): أي بالذات والصفات، (**الصمد**): أي المقصود في الحوائج على الدوام، (**الذي لم يلد**): لانتفاء مجانسته، (**ولم يولد**): لانتفاء الحدوث عنه، (**ولم يكن له كفوًا أحد**): أي مكافئًا ومماثلًا فله متعلق بكفوًا. وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي وأخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة، (**فقال**) أي: النبي ﷺ (**لَقَدْ سَأَلَ اللهَ باسمه الأعظم**) في هذا الحديث دلالة على أن لله تعالى اسمًا أعظم إذا دعي به أجاب، وإن ذلك هو المذكور ههنا، وهو حجة على من قال ليس الاسم الأعظم اسمًا

(١) «عمدة القاري» (٦/ ٤٣) بتصرف.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٩/ ٧٣٧٥)، ومسلم (١/ ٨١٣).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٢/ ١٤٩٣)، وابن ماجه (٢/ ٣٨٥٧)، وأحمد (٣٨/ ٢٢٩٦٥) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم [١٦٤٠].

معينًا بل كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعراض عما سوى الله هو الاسم الأعظم، لأن شرف الاسم بشرف المسمى لا بواسطة الحروف المخصوصة. قال الطيبي: وقد ذكر في أحاديث أخر مثل ذلك: وفيها أسماء ليست في هذا الحديث إلا أن لفظ الله مذكور في الكل فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم. وسيأتي الكلام في ذلك مفصلًا في آخر الباب (**الذي إذا سأل به أعطى وإذا دعي بها أجاب**) السؤال أن يقول العبد أعطني الشيء الفلاني فيعطي، والدعاء أن ينادي ويقول يا رب فيجيب الرب تعالى ويقول لبيك يا عبدي ففي مقابلة السؤال الإعطاء وفي مقابلة الدعاء الإجابة وهذا هو الفرق بينهما ويذكر أحدهما مقام الآخر أيضًا. وقيل الفرق بينهما إن الثاني أبلغ، فإن إجابة الدعاء تدل على شرف الداعي ووجاهته عند المجيب بخلاف السؤال فإنه قد يكون مذمومًا كما يكون في إثم أو قطيعة رحم. وقال الطيبي: إجابة الداعي تدل على وجاهة الداعي عند المجيب فيتضمن قضاء الحاجة بخلاف الإعطاء فالأخير أبلغ وقوله أعطى وأجاب أي: بأن يعطي عين المسئول بخلاف الدعاء بغيره فإنه وإن كان لا يرد لكنه إما أن يعطاه أو يدخره للآخرة أو يعوض»[(١)].

المعوذتان

الحديث الأول: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**»[(٢)].

وفي رواية أخرى عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُنْزِلَ، أَوْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، الْمُعَوِّذَتَيْنِ**»[(٣)].

---

(١) «مرعاة المفاتيح» (٦/ ٤٣) بتصرف.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٨١٤)، والنسائي (٢/ ٩٥٤)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٩٦٨).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١/ ٨١٤).

(**ألم تر**): بصيغة المعلوم أي ألم تعلم، (**أنزلت**): صفة للآيات (**الليلة**):نصب على الظرفية قال الطيبي: ألم تر كلمة تعجب وتعجيب وأشار إلى سبب التعجب بقوله: (**لم ير مثلهن**) أي: في باب التعوذ وهوبصيغة المجهول، ورفع مثلهن (**قط**):لتأكيد النفي في الماضي يعني لم تكن آيات سورة كلهن تعويذًا للقاري من شر الأشرار مثل هاتين السورتين، ولذلك كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان وعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما ولما سحر استشفى بهما وإنما كان كذلك لأنهما من الجوامع في هذا الباب (**الْمُعَوِّذَتَيْنِ**): أي هي قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وفي الحديث بيان عظم فضل هاتين السورتين، وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن، وفيه إن لفظة قل من القرآن ثابتة من أول السورتين بعد البسملة، وقد أجمعت الأمة على هذا كله قاله النووي. وأما ما نسب إلى ابن مسعود من إنكار قرآنية المعوذتين. فقيل: إن هذا النقل عن ابن مسعود كذب باطل، قاله ابن حزم في أوائل المحلى والنووي في شرح المهذب وشرح مسلم والفخر الرازي في أوائل تفسيره. وقيل: بل النقل عنه صحيح وكونهما من القرآن، قد ثبت القطع بذلك في عصره لكن لم يثبت عنده القطع بذلك أي إنه كان متواترًا في عصر ابن مسعود لكن لم يتواتر عند ابن مسعود. وقيل: غير ذلك في تأويل ما حكى عن ابن مسعود»[(١)].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل المعوذتين.

٢- فضائل سور مخصوصة من القرآن.

٣- إثبات أنهما من القرآن.

---

(١) «مرعاة المفاتيح» (٦/ ٤٣)بتصرف.

الحديث الثاني: و عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الْجُحْفَةِ، وَالْأَبْوَاءِ، إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ، وَظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ بِأَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، وَيَقُولُ: «**يَا عُقْبَةُ، تَعَوَّذْ بِهِمَا فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا، قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ**»[(١)].

قوله: «**(بين الجحفة)**: وهي ميقات أهل الشام قديما وأهل مصر والمغرب وتسمى في هذا الزمان رابغ، سميت بذلك لأن السيول أجحفتها، وهي التي دعا النبي ﷺ بنقل حمى المدينة إليها فانتقلت إليها، وكان لا يمر بها طائر إلا حم، ولإبهام موضعها الآن أو قلة مائها وكثرة الخوف للجائي إليها استبدل الناس الإحرام من رابغ بمحل مشهور قبيلها لأمنه وكثرة مائه **(والأبواء)**: جبل بين مكة والمدينة، وقيل: قرية من أعمال الفرع، وبه توفيت أم النبي ﷺ سميت بها لتبوئ السيول بها بينها وبين الجحفة عشرون أو ثلاثون ميلًا **(إذ غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل)**: أي طفق، وشرع **(رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق)**: أي الخلق أو بئر في قعر جهنم **(وأعوذ برب الناس)**: أي هاتين السورتين المشتملتين على ذلك **(ويقول)** الظاهر: وقال، وعدل إلى الاستقبال لاستحضار الحال الماضية أو لمشاكلة ما عطف عليه مع أنه يحتمل وقوع التكرار منه ﷺ حثًا له وتحريضًا، وأبعد ابن حجر حيث جعل الواو للحال فقال: أي، والحال إنه كلما فرغ من قراءتهما يقول **(يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما)** أي: بل هما أفضل التعاويذ، ومن ثم لما سحر ﷺ مكث مسحورًا سنة حتى أنزل الله عليه ملكين يعلمانه أنه يتعوذ بهما ففعل فزال ما كان يجده من السحر»[(٢)].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢/ ١٤٦٣)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٩٥٠). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٧٩٤٩].

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٤/ ٢١٦٢).

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضائل المعوذتين.

٢- استحباب التعوذ والرقية بهما.

٣- أنهما من القرآن لأنه ﷺ صلى بهما.

٤- أنهما أفضل التعاويذ والرقى.

٥- توجيه النبي ﷺ أصحابه وأمته إلى كل خير وَدَلِّهِمْ عليه.

الحديث الثالث: وعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ الله، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، قَالَ: «أَصَابَنَا طَشٌّ وَظُلْمَةٌ، فَانْتَظَرْنَا رَسُولَ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا مَعْنَاهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ لِيُصَلِّيَ بِنَا، فَقَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟، قَالَ: «**قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثًا يَكْفِيكَ كُلَّ شَيْءٍ**»[(١)].

قوله: «طَشٌّ» قال: الْأَصْمَعِيِّ: الطَّشُّ قَطَرَاتٌ ثُمَّ تَذْهَبُ، طَشَّتْ تَطِشُّ طَشًّا، وَأَصَابَنَا طَشَاشٌ وَرَشَاشٌ[(٢)].

قال العلامة الشيخ ابن عثيمين: «السورة الأولى فهي سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. التي أخلصها الله تعالى لنفسه فلم يذكر فيها شيئًا إلا يتعلق بنفسه جل وعلا ليس فيها ذكر لأحكام الطهارة أو الصلاة أو البيع أو غير ذلك، كلها مخلصة لله عز وجل، ثم الذي يقرأها يكمل إخلاصه لله تعالى فهي مُخْلِصَة ومُخَلِّصَة، تخلص قارئها من الشرك وقد بين النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن ولكنها لا تجزئ عنه، تعدله ولا تجزئ عنه، فالشيء قد يكون عديلًا للشيء ولكن لا تجزئ عنه، ألم تروا أن الإنسان إذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٨/ ٥٤٢٨). وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» [٥٤٢٨].

(٢) غريب الحديث، لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (٣/ ١١٦٠).

قدير كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل، ومع ذلك لا يجزئ عن عتق رقبة، ففرق بين المعادلة في الأجر وبين الإجزاء في الكفارة، ولهذا لو قرأ الإنسان ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] في الصلاة ثلاث مرات ما أجزأت عن الفاتحة مع أنه لو قرأها ثلاث مرات كأنما قرأ القرآن كله لأنها تعدل ثلث القرآن.

وأما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١] فهما السورتان اللتان نزلتا على رسول الله ﷺ حين سحره الخبيث لبيد بن الأعصم اليهودي فأنزل الله هاتين السورتين فرقاه بهما جبريل فأحل الله عنه السحر قال النبي ﷺ: ما تعوذ متعوذ بمثلهما. تستعيذ ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]: فالفلق فلق الإصباح وهو فالق الحب والنوى جل وعلا، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]: كل ما خلق ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق:٣]: يعني الليل إذا دخل؛ لأن الليل تكثر فيه الهوام والوحوش وغير ذلك، فتستعيذ بالله من شر غاسق إذا وقب. ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]: أي الساحرات اللاتي يعقدن عقد السحر وينفثن فيها بالطلاسم والتعوذات والاعتصام بالشياطين والاستعانة بهم والعياذ بالله. ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]: هو العائن يصيب بعينه لأن الساحر يؤثر والعائن يؤثر فأمرت أن تستعيذ ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ جل وعلا ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ وتأمل تناسب هذه الآيات الثلاثة ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: الليل؛ لأن البلاء يكون فيه خفيا، والسحر كذلك خفي،والعين كذلك خفية، فنستعيذ برب الفلق الذي يفلق الإصباح حتى يتبين، ويفلق النوى حتى يظهر ويبرز، فهذه من مناسبة المقسم به والمقسم عليه.

أما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، فهي السورة الأخرى أيضًا التي بها الاستعاذة بالله عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٢] فهو

الرب الملك ذو السلطان الأعظم الذي لا يمانعه شيء ولا مبدل لكلماته جل وعلا ﴿ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ملك الناس إله الناس﴾ أي معبودهم الذي يعبد بحق فلا معبود حق إلا الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس: ٤] هذه وساوس الصدور التي يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم وما أكثر ما يلقي الشيطان في هذا العصر من الوساوس العظيمة التي تقلق الإنسان، وسبحان الله العظيم الدنيا اسم على مسمى دنيئة لا تتم من وجه إلا نقصت من وجوه ترفنا في هذه الأيام في هذا العهد، لا يوجد نظير فيما سبق النعم متوافرة والأموال والبنون وكل شيء،والترف الجسدي ظاهر لكن كثرت في الناس الآن كثرة الوساوس والأمراض النفسية والبلاء حتى لا تتم الدنيا فيركن الإنسان إليها؛لأن الدنيا لو تمت من كل وجه أنست الآخرة كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسها من قبلكم فتهلككم كما أهلكتهم والله عَزَّوَجَلَّ إذا فتح الدنيا من جانب صار صفوها كدرًا من جانب آخر أو من جوانب أخرى والشاعر الجاهلي يقول: فيوم علينا ويوم لنا... ويوم نساء ويوم نسر.

فالحاصل أن هذه السورة فيها الاستعاذة من الوسواس، والوسواس يقع في الإنسان أحيانا في أصول الدين وفي ذات الرب وفي القرآن وفي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يوسوس الإنسان في أشياء يحب أن يكون فحمة ولا يتكلم بها، وسواس أيضًا في الطهارة بعض الناس يصاب بالوسواس والعياذ بالله يدخل الحمام للوضوء الذي لا يستغرق خمس دقائق يبق خمس ساعات -نسأل الله العافية- وفي الصلاة تجده يكرر تكبيرة الإحرام يكرر الكاف عشرين مرة الله أكبر وربما يعجز حتى إن بعضهم يقول إني ما أستطيع أن أصلي إطلاقًا، فيؤدي به الوسواس إلى ترك الصلاة يقع الوسواس في معاملة الأهل حتى إن بعضهم يخيل إليه أن أهله وضعوا له سحرًا في أكله وشربه

فيأكل من المطاعم وحتى إن الرجل ليتكلم لأهله فيقول يا أم فلان -زوجته- فيقول له الشيطان طلقتها وينكد عليه الحال، فليستعذ بالله ولينته - أي: عن الوسواس-.

و﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ هو الذي يخنس عند ذكر الله. قال ابن رجب الحنبلي (الخنَّاسُ، وهو الشيطانُ، إذا غَفَلَ العبدُ عن ذِكْرِ اللهَّ وَسْوَسَ له، فإذا ذَكَرَ اللهَّ خنَسَ وتأخر)[١].

ومنه سُميَّتِ النجومُ خُنَّسًا، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥]. وانخِناسُها: رُجُوعُها وتوارِيها تحت ضوء الشَّمسِ. وقيل: اختفاؤها بالنهار.

﴿ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٥-٦]: الجِنّة: هي الجِن والمراد بهم الشياطين توسوس في الصدور،والناس أيضًا شياطين بني آدم وما أكثر الشياطين في زماننا وقبل زماننا وإلى يوم القيامة [وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين] الآية كذلك لأتباع الأنبياء أعداء من الشياطين يأتون إلى الناس يوسوسون هذا كذا وهذا كذا، ربما يوسوسون على السذج من العوام سواء في مذاهب باطلة، وملل كاذبة، أو غير ذلك، المهم عندهم وسواس شياطين الإنس أحذرهم أحذر شياطين الإنس الذين يوسوسون لك في أمور يزينونها في نفسك وهي فاسدة.

فالمهم أن هذه السور الثلاث ينبغي للإنسان أن يقرأها كل صباح وكل مساء لأمر النبي ﷺ بها والله الموفق»[٢].

قلت: ويؤخذ من الحديث:

١- فضل المعوذتين والإخلاص.

٢- بيان أنها رقية.

---

(١) «روائع التفسير» (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) (٢/ ٥٤٣).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٥/ ٥٤٩) بتصرف واختصار.

٣- استحباب قراءة هذه السور بالصباح والمساء.

٤- بيان أنها تكفي المرء من كل شيء يخافه ويحذره.

الحديث الرابع: وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**اقْرَأْ يَا جَابِرُ**»، قُلْتُ: وَمَاذَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**اقْرَأْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**»، فَقَرَأْتُهُمَا، فَقَالَ: «**اقْرَأْ بِهِمَا، وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا**»(١).

وهو بنحو الذي قبله.

الحديث الخامس: وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ**»(٢).

«قولها: (**أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى**) أي: مرض، وهو لازم وقد يأتي متعديًا فيكون التقدير وجعًا، (**نفث**): أي: أخرج الريح من فمه مع شيء من ريقه. وقيل: النفث نفخ لطيف بلا ريق (**على نفسه بالمعوذات**) أي: قرأها على نفسه ونفث الريق على بدنه، والمراد بالمعوذات سورة الفلق والناس والإخلاص فيكون من باب التغليب، أو المراد المعوذتان (**الفلق والناس**)، وكل ما ورد من التعويذ في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧ - ٩٨]. وغير ذلك، أو المراد المعوذتان فقط، وجمع باعتبار أن أقل الجمع اثنان

---

(١) حسن: أخرجه النسائي (٨/ ٥٤٤١)، وابن حبان (٣/ ٧٩٦). وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» [٥٤٢٨].

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٣٩)، ومسلم (٤/ ٢١٩٢)، وأبو داود (٤/ ٣٩٠٢)، وابن ماجه (٢/ ٣٥٢٩).

أو أطلق الجمع على التثنية مجازًا أو الجمع باعتبار الآيات، وإنما اجتزا بهما لما اشتملتا عليه من جوامع الاستعاذة من المكروهات جملة وتفصيلًا من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته وغير ذلك، وقيل المراد الكلمات المعوذات بالله من الشيطان والأمراض والآفات ونحوها، (**ومسح عنه**) أي: عليه وعلى أعضاءه، وقال الطيبي: الضمير في عنه راجع إلى ذلك النفث والجار والمجرور حال أي نفث على بعض جسده ثم مسح بيده متجاوزًا عن ذلك النفث إلى سائر أعضاءه. قال عياض: فائدة النفث التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشرة للرقية والذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر، وقد يكون على سبيل التفاؤل بزوال ذلك الألم عن المريض كانفصال ذلك عن الراقي. (**فلما أشتكى**) أي: النبي ﷺ، (**وجعه**) بالنصب أي: مرضه، (**طفقت**) من أفعال المقاربة بمعنى: أخذت أو شرعت. (**أنفث**): جملة حالية. (**وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ**): لبركتها.

قال الحافظ: قد أجمع العلماء على جواز الرقي عند إجتماع ثلاثة شروط أن يكون بكلام الله تعالى، أو بأسماءه وصفاته وباللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى. وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس أن يرقى بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله. قلت: أيرقى أهل الكتاب المسلمين قال نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله. وروى ابن وهب عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من أمر الناس القديم»[(١)].

(١) «مرعاة المفاتيح» (٥/ ١٥٤٦) بتصرف.

ويؤخذ من الحديث[١]:

١- دلالة على أن الرقية والنفث بكلام الله سنة.

٢- فيه استحباب النفث في الرقية وقد أجمعوا على جوازه، واستحبه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

٣- فضائل المعوذات.

الحديث السادس: وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»[٢].

«قوله: (**إلى فراشه**) أي: أتاه واستقر فيه، (**كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما**) قيل: النفث إخراج ريح من الفم مع شيء من الريق، وقال الجزري في المفتاح: النفث شبيه بالنفخ وهو أقل من التفل لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق (**فقرأ**) أي: بعد النفث وعقبيه، (**فيهما**): أي في الكفين (**قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس**) قال الطيبي: دل ظاهره على أن النفث مقدم على القراءة فقيل: خالف السحرة، أو المعنى: ثم أراد النفث فقرأ فنفث، فهو من باب قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨]، (**ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ**): بيان أو بدل ليمسح، (**بهما**) أي: بمسحهما (**على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده**): وما أدبر منه»[٣].

---

(١) «مرعاة المفاتيح» (٥/ ١٥٤٦) بتصرف.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦/ ٥٠١٧)، وأبو داود (٤/ ٥٠٥٦)، والترمذي (٥/ ٣٤٠٢).

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٤/ ٢١٣٢) بتصرف.

ويؤخذ من الحديث[١]:

١- أن في قراءة هذه السور الثلاثة قبل النوم صيانة للإنسان وحفظ له من المكاره.

٢- أنها تعويذة مباركة مأثورة أرشدنا النبي ﷺ إليها ودلنا عليها.

٣- أنه يستحب قراءة هذه السور الثلاثة قبل النوم والتعوذ بها، وكيفية ذلك أن يجمع كفّيه ثم يقرأ هذه السور الثلاث فيها ثم ينفث من ريقه عليهما، ثم يمسح بكفيه ما وصل إليه من جسده.

٤- فضائل المعوذات.

الحديث السابع: وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ وَعَيْنِ الإِنْسَانِ حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ فَلَمَّا نَزَلَتَا أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا**»[٢].

«قوله: (**يتعوذ من الجان**): أي بالأدعية والأذكار بأن يقول: أعوذ بالله من الجان، (**وعين الإنسان**) أي: ومن إصابة عين الإنسان الحاسد (**فلما نزلت**) أي: كل واحدة منهما (**أخذ بهما**) أي:عمل بقراءتهما والتعوذ بهما غالبًا (**وترك، ما سواهما**) أي: من الرقيات»[٣].

❁ ❁ ❁

(١) «منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري» (٥/ ٨٢) بتصرف.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٤/ ٢٠٥٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧/ ٧٨٠٤). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٤٩٠٢].

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٧/ ٤٥٦٤) باختصار.